سيدة سوريا

شهرية مستقلة تعنى بالمرأة السورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

آب 2015 العدد (18)

الحضور النسائي العالمي
طموح قد يتكلل بمنصب الأمين العام

عن خرائط المنطقة وانزياحاتها البشرية
وهندسة مجتمعاتها بالدم

المرأة في الأدب السعودي
طغيان الحضور في الرواية وشلله في الواقع

آليات للعمل السياسي النسوي السوري.. لقاء مجدولين حسن

تحقيق: نساء الحسكة وكفاف يومهن

فهرس العدد آب 2015 العدد (18)

نساء الحسكة وكفاف يومهن	بشرى البشوات	٤
تنظيم ورشة تدريبية للسيدات في الحسكة		٦
لقاء مع الحقوقية والناشطة مجدولين حسن	حاورتها سيدة سورية	٨
الحضور النسائي العالمي في الأمم المتحدة ومجلس الامن	نجاح سفر	١٢
أكبر إبادة عرقية في التاريخ ٢/٢	مها مصطفى	١٤
الهجرة من الريف إلى المدينة والتحضر الزائف ٢/٢	جمانة علي	١٦
عن خرائط المنطقة وانزياحاتها البشرية وهندسة مجتمعاتها بالدم	فراس يونس	١٨
مخيمات مؤقتة مخيمات دائمة تحت اسم بلاد	عباس علي موسى	٢٠
كارلوس منعم مهاجر سوري رئيساً للأرجنتين	سامح يوسف	٢٢
سوريات على خيط الأمل	مهند شحادة	٢٤
لاجئات سوريات والبيع بصفة زوجة ثانية		٢٦
عشرة طرق يجب أن تمر بها المرأة السورية للوصول إلى السلام	ترجمة سوز حاج حسن	٢٩
هل ستعودين إلى سوريا حين تنتهي الحرب	هند مجلي	٣٢
الشرطيات في مصر هل هن قادرات على مواجهة التحرش والجريمة	إيمان عادل	٣٤
المراة التونسية صراع مستمر في الحياة السياسية	مريم الناصري	٣٦
الاغتصاب سلاح الدمار الشامل في سوريا ٢/١	ترجمة د. إنعام شرف	٣٨
رمزية الحجاب عبر التاريخ	سامر مختار	٤٠
لا تمر قبل أن تقرأها أهم عشرة كتب نسوية	ترجمة رهف موسى	٤٢
كيف تؤثر العواصف الرملية على صحة الإنسان؟	سارة العمر	٤٥
للأصالة دار اسمها حلب ردينة عبود صوت نسائي حلبي أصيل	حوار نور مارتيني	٤٦
عندما تكتب المراة نفسها شاعرات الجزيرة السورية أنموذجاً	خناف كانو	٥٠
المرأة في الأدب السعودي طغيان الحضور في الرواية وشلله في الواقع	بشار عبود	٥٢
غداً يوم آخر	خوشمان قادو	٥٤
كأس اليرموك	تغريد محمد	٥٦
محاولات للانتصار على الحنين	فاديا حسون	٥٧
وعد.. سنبتسم ونحن نموت	بسمة شيخو	٥٨

سيدة سوريا

رئيس التحرير
محمد ملاّك

مدير التحرير
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير
مراد عيد

إخراج فني
الحكم النعيمي

saiedetsuria@gmail.com

WWW.facebook.com/
saiedetsouria

المكتب الرئيسي
تركيا - غازي عينتاب

00905533679528
00905435322971
00905347362458

المركز السوري للصحافة و النشر
Syrian Center For Press & Publishing

السعر خارج سوريا: (5) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

أمهات في وحشة الغياب 1

الكلام بقية

1

للفقدان حدّ مسنونٌ يجرحُ حرير الروح. كلما نزفت صرخ الجسدُ ألماً، وهرب بعيداً إلى اليقظةِ كلما نهشهُ الرعب. وأم أحمد لم تعد تذكر آخرَ يومٍ نامت فيهِ ساعات. فلا تكاد تغمض عينيها حتى يأتيها صوت ابنها يصرخ تحت التعذيب، وكلما أخذها الإرهاقُ عميقاً في سباتِ الغفلةِ، تعالى الصراخُ والاستنجادُ المحرقُ، يناديها "ياا أمي". فينتشلها من غفلتها ليرمي بها على ضفاف اليقظةِ، مرتجفةً مبتلةً بالعجز والعرق وانقطاع الأنفاس. تقسّم ليلها كوابيسُ يغذيها كلُّ ما يوحشن عالمها، وتشاهدهُ، حول حكايا التعذيبِ والقتل.

2

أم أحمد اليوم لا تلومُ القدرَ، بل تلومُ نفسها، هي زوجةُ الضابطِ السابقِ، التي قبلت في سنين مرّت، المالَ الحرامَ من جيش آل الأسد، في مرتبات زوجها، الطعام الحرام، الوقود، الثياب، تعليم الأولاد، تقويم الأسنان لابنتها الوسطى، قطعُ الذهب الصغيرةِ، "حلقٌ وسلسالٌ"، باعتهما لتأمين وهم اتصالٍ هاتفي لم يأتِ، مع ابنها المعتقل.

3

في ليلها المسافر شروداً ودموعاً صامتة، تلتف بالغطاءِ جالسةً، تُعلّقُ عنقها نحو سماءٍ لا تفرجُ عن أملٍ، وإن كانت تفتح باب الاستغراق بتداعي الأفكارِ، الذي يهربُ بها ولو قليلاً نحو شيءٍ من النسيان، فلا يفصلها عن الانهيارِ اليوم، سوى بعضِ وقائعَ، تفاصيل، ويوميات تعبرُ رأسها من نوافذ الحواس.

4

الانتظار بوابةٌ للقلقِ والأفكار القاسية التي تلتهمُ روحها، يتحول عدم النوم إلى تعبٍ، إرهاق، هبوط في طاقة الجسد، هذا كلامٌ معنويٌّ، لكنّهُ يظهر سواداً تحت العينين، تجاعيداً تظهرُ كل يوم على الوجهِ واليدين، حزناً يطفئ لمعة العين، ذهولاً كأنك خارج العالم، وهناً في الوقوفِ والجلوس، رقابةً داخليةً على الروح، على ضحكةٍ تهربُ في غفلةٍ عن رقيب الحزن والخوف والفقدان وجلد الذات، في غفلةٍ عن أثقالٍ من الخسارات يرزح تحتها القلب.

5

يقينها بعدل الله، حرّض ذاكرتها على استجماعِ كل ما بدأت تراهُ ذنباً، أو يمكن أن يكون خطأً اقترفته.

قبل أيامٍ، استمعت بصبرٍ واستحقاقٍ من يسيرُ حافياً على جمرٍ، إلى حديث جارتها عن ويلاتِ المعتقلِ وكمِّ القهرِ والموت والصراخ في معتقلات آل الأسد. حديثٌ عقوبةٌ، لم ينقذها منهُ سوى دخول ابنتها، صارخة بالمرأة العجوز التي كانت تحز روحها بسيفِ الخوفِ والتهويل، لتسكت.

أحاديث كهذهِ تغذي كوابيسها بإضافةِ كل ألم سمعت عنهُ، أو رأتهُ في "فيديو" تتناقلهُ "الموبايلات"، أو قتيلٍ تحتَ التعذيب وصل خبرهُ إلى سمعها.

كان جمالها يتلخّص في طيبتها، وطيبتها تتجلى أنها حسمت الكراهية العنفَ الانتقامَ، وزرعت مكانها حقلاً من القلقِ، الاستغفارِ، مساعدةِ الضعفاء، وأملٍ في سكينةٍ لا تأتي.

6

تعيدُ ترتيبَ الحكايةِ كلَّ مرّة، لبناء هيكل المقدمات والنتائج، علّها تحصل على ذرّة أملٍ إضافيةٍ تغذي صبرها، انتظارها، وتوقها الذي تُوقِدُ منهُ حطبَ أيامها لتبقى وتستمر. لم يبدأ الأمر هناك، لا، على الأقل هي اليوم لا تظنُّ ذلك، وإن كانت تحبّذُ أن يكون تشابه أسماءٍ، وهو سببٌ خارج إرادتها، ولا تحمّل ذنبه لمن أفضى بها إلى ما تعيشهُ اليوم.

تعرف كيف يكون الأمر عندما لا يبقى في يدك شيءٌ تفعله، يومها لم تستطع أن تضمهُ إليها.

لأنهم أبعدوهُ مباشرةً، وبات بينهُ وبينها أمتارٌ وجنودٌ وبنادق، حتى غاب بعد دقائق من أمامها حين اقتادوه إلى إحدى الغرف في عمقِ الحاجز.

انصاعت لطلب ركاب الباص والسائق وتطمينات عنصر الحاجز، لا تقلقي، إن لم يكن عليه شيء، لن يحدث لهُ شيء. "مؤكد أنّه تشابه أسماء."

7

تؤجلُ أوجاعها ولو قليلاً، تؤجل التفكير بها على الأقل حتى تكون وحيدة. الوقتُ وإن كان سيد الحزن، فإنهُ بقيّةُ أمل للأمنيات، وهو بلسم الجروح الوحيد، هكذا فكرت عندما نظرت إلى جرحٍ في ساق فتاتها الصغيرة بفعل سقوطٍ أثناء اللعب.

كلُّ شيءٍ يحزنها، كلُّ شيءٍ يوقظُ فقدانها، كلُّ شيء يفضي ويتحرك دون أن تدري كيف، ليأخذها إلى ذات البئر من الحزن، ورزح الأفكار المرعبة، كأن قلبها بئر حزنٍ دون قاع.

8

في الأمس وبعد ساعةٍ من نوم ربما، أيقظها يومٌ ربيعيٌّ، الشمسِ لم ترتد ثوبَ صفرتها الحار بعد، كانت لا تزال تحتفظُ بشيءٍ من البرودةِ الورديّةِ التي تسمح لنسمات الصباح بقرصِ الأجساد بشيءٍ من الصحو والبرد.

لفتتها حركة هرّ يصعدُ الشجرة وئيداً، في محاولةِ الوصولِ إلى أحد الأعشاشَ هناك، لفتها حومُ العصفورةِ الأم القلق، وأصوات زقزقةِ خائفةٍ مرتبكةٍ مولولةٍ، دون أن تفارق فضاء الغصن على الشجرةِ، ودون أن تستطيع الاقتراب من القط. الفراخ ترد بصوت زقاء متواصل.

تصاعد غضبها، ودون أن تحتاج طويل وقتٍ رمت القط بفردةِ حذاء، أرفقتها ببعضُ الدعوات القاسية، لم تصبهُ، نظر إليها جفلاً، لكن فردة الحذاء جاءت بعيدة عنه، فعادَ إلى تركيزهِ بما يفعل ماطاً جسدهُ على الغصن، تقدمت من الشجرةِ حاملةِ فردة الحذاء الأخرى، ناهرة القط ضاربةً إياه، ما أجبرهُ على الفرار، نظرت إلى العصفورةِ الأم وهي تحطُّ على فراخها، شعرت بشيءٍ من رضى لم يعكره بقاءُ فردة حذائها عالقةً في الشجرة.

عادت إلى مكان جلوسها حدّقت في البعيد، فكّرت بالأمهاتِ اللواتي سُرقَ أطفالهنّ وغيّبوا، واختفوا هكذا ليلتهمهم الغياب، بالنسبة لها كلمات النظام، الشبيحة، الحاجز، المعتقل، التعذيب، القتل، كلمات تحضر كلما فُكرت بهِ، ويأتي معها الويلُ واعتصارُ القلبِ الذي يُرخي ساقيها حتى لا تقوى على الوقوف، يتهدّج صوتها: يا الله يا رب احمِهِ كن معهُ أعدهُ إليّ سالماً. وتتذكّر، واحمِ من معهُ وخفف على قلوبِ الأمهات.

تصبحُ الشمسُ حاميةً، ولم يعد في البقعة الصغيرة التي تقفُ فيها مكانٌ للاحتماء، تدخل نحو الغرفة وقد عبرها صباح جديد قاس، ككلّ صباحٍ منذ أنزلوا ابنها من الباص، وأخذوه من بين يديها على الحاجز.

رئيس التحرير

نساء الحسكة وكفاف يومهن

بشرى البشوات

في ظل سوء الأوضاع السورية المرشحة للاستمرار لسنوات، والحرب الدائرة تي لا تعلم نهايتها، تتوالى الخسارات السورية التي فاقت التوقعات، ويغدو العجز سمة غالبة على كافة نواحي الحياة التي باتت مشلولة تقريباً.

تعترف جميع البلدان النامية بالعمل كحق أساسي من حقوق الإنسان، وقد تعهدت جميع الدول في قمة كوبنهاغن عام ١٩٩٥ بوضع خطط للقضاء على الفقر وتأمين العمل للمواطنين.

في سوريا، وحسب إحصائيات عام ٢٠٠٠، يتجاوز معدل البطالة ٢٣%، وتترافق البطالة مع الفقر وانعدام الدخل، وبالتالي انعدام الإحساس بالأمان. وتشكل البطالة في الريف السوري نسبة عالية جداً، لكنها تقديرية لا تخضع لإحصائيات دقيقة، لأسباب منها: الهجرة إلى المدن والسفر خارج البلاد.

ولا يمكن النظر إلى البطالة الذكورية بمعزل عن بطالة الإناث، إذ تبلغ النسبة بينهن ٤٢,٤% من إجمالي البطالة، حيث تكون مشاركة المرأة الأكبر "٥١,٢%" في العمل الزراعي، والباقي في أعمال غير منتظمة، وذلك حسب الإحصائيات سالفة الذكر.

هذه التقارير نشرت قبل سنوات، حين كانت سوريا تعيش في حالتها الطبيعية، ومع دخول البلد في الحرب وخروج الكثير من القطاعات من برامج التشغيل، ظهرت المشكلة على السطح بسرعة مهولة ومؤلمة، واتضحت في شمال سوريا (مدينة الحسكة) التي عانت أصلاً من تهميش متعمد وندرة في فرص العمل، ومن مواسم الجفاف التي أخرجت الكثير من الأراضي الزراعية من قائمة الاستثمار، متسببة بحركة نزوح كبيرة وزحف ريفي باتجاه المدينة، خصوصاً بعد سيطرة قوات تنظيم الدولة على مساحات واسعة من الريف الغربي لمدينة الحسكة وسيطرة وحدات حماية الشعب الكردية على مساحات أخرى، وبالتالي استمرار المعارك والقتال وهجرة آلاف العائلات العربية واستقرارها على أطراف المدينة، مع تدني مستوى الخدمات وضعفها، وندرة فرص العمل بالنسبة للرجال والنساء على حد سواء. كل ذلك أدى إلى انخراط النساء الريفيات في العمل لسد جزء صغير من متطلبات وحاجات الأسرة، خاصة في الأسر التي فقدت معيلها من زوج أو أب أو أخ. ومع غياب التعليم وقلة الخبرات، ظل جني المحصول وزراعة الأرض الخبرة الوحيدة التي يمتلكنها.

بحثت هؤلاء النسوة عن عمل يستطعن القيام به، يؤمّن لهن ولأسرتهن الكفاف، ومن هذه الأعمال التي تقوم بها النساء حالياً وتلاحظ في شوارع الحسكة: العمل في تنظيف الشوارع، حيث قامت الأمم المتحدة بالتعاون بين البرنامج الإنمائي وهيئة الشباب في المجمع الكنسي بطرح مشروع إزالة النفايات الصلبة من مدينة الحسكة.

في مقرهم الكائن وسط المدينة التقينا السيد إلياس ماريديني، المكلف بالإشراف على المشروع، حيث قال: "فكرة المشروع كانت من الأمم المتحدة، والغاية منه إيجاد فرص عمل لأكبر عدد ممكن من الأشخاص، بالإضافة إلى نظافة مدينة الحسكة التي تحولت خلال السنوات الأخيرة إلى حاوية كبيرة بسبب الإهمال وتقاسم أماكن السيطرة بين النظام ووحدات الحماية الشعبية".

وأضاف: "عدد النساء المشتغلات في المشروع ٣٨ سيدة، ومدة العقد ثلاثة أشهر قابلة للتجديد حسب ظرف العاملة. أما وقت العمل فمن السادسة والنصف حتى العاشرة والنصف صباحاً، وهو توقيت خاص بالنساء لتتمكن المرأة من العودة إلى بيتها في أسرع وقت ممكن، ندفع راتباً شهرياً قيمته ٢٤٠٠٠ ليرة سورية".

وعن معايير التوظيف يقول: "نقوم أولاً بتوظيف المطلقات والوافدين من خارج المحافظة، النازحين من داخل المحافظة والمعاقين إعاقات بسيطة تمكنهم من العمل، وأخيراً طالبات الجامعة". هناك خمس طالبات جامعيات يعملن ضمن المشروع، التقينا إحداهن وحدثتنا عن التجربة، تقول أمل، طالبة في جامعة الفرات قسم التربية: "سمعت عن المشروع من جارتي وحضرت إلى هنا للتسجيل، وحين أخبرت المدير بأنني طالبة جامعية تفاجأ بطلبي، لكنني قلت له أني أريد مساعدة نفسي ريثما أتمم دراستي الجامعية، فقد نزحنا من ريف تل تمر ووضع أهلي المادي سيء للغاية". تحمل أمل مكنستها، تسوي لثام وجهها بشكل جيد، أسألها: ألا تشعرين بالخجل والإحراج؟ فتقول: "لا، ما دام عملاً شريفاً" وتمضي.

يضيف الأستاذ إلياس أن "العاملات من النساء يقمن بعملهن بمهارة أكبر من الرجال، والكثيرات يطلبن إلينا تجديد العقد، ولم يجدن إحراجاً ولا صعوبة مثلما كنا نعتقد في بداية المشروع".

وحيث تقوم النساء بكنس وإزالة النفايات من شوارع مدينة الحسكة، تقوم نساء أخريات (بنبش القمامة)، أم محمد الأرملة منذ سنوات لديها ولد واحد مازال دون الخامسة عشرة، تخرج من بيتها في منطقة النشوة منذ السادسة صباحاً، قاصدة أماكن تجميع القمامة، حيث تقوم بفتح ونبش أكياس القمامة لتلتقط منها العلب البلاستيكية وتجمع الخبز اليابس. تقول أم محمد: "أخرج باكراً، أدور على الحاويات وبكيس كبير أشده إلى ظهري أجمع ما تيسر لي". يشتري منها التاجر كيلو البلاستيك بمبلغ ١١ ليرة سورية وكيلو الخبز اليابس بمبلغ ١٥ ليرة سورية. لا تجمع أم محمد أكثر من ٣ كيلو في اليوم من كل نوع، وفي نهاية كل شهر لا يتجاوز جل ما تحصل عليه ١٠٠٠ ليرة سورية، هو راتب لأرملة معيلة لولد وحيد تقضي نصف نهارها تحت شمس الحسكة اللاهبة، وتشد إلى ظهرها حملاً أكثر إيلاماً من قمامتها وبلاستيكها.

تقوم أم محمد بعملها دون أن تلبس قفازات أو تضع كمّامة على فمها، أسألها: ألا تخافين

الأمراض؟ تبستم: "وهل هناك مرض أبشع من الحاجة والسؤال؟". ولأن أم محمد أرملة وغير متعلمة، فضلت القيام بهذا العمل على أن تمد يدها للتسول، كذلك هي زهرة التي تعمل على خبز رغيف التنور، تسكن زهرة في منطقة خشمان، تحضر كل يوم عُدتها إلى تنورها الذي بنته من الحجارة والطين أمام مديرية الصحة في محافظة الحسكة، تقول زهرة: "زوجي مريض وعندي أربعة أولاد، فكرت أن أقوم ببناء فرن تنور، أخبز للناس خاصة مع تدهور حالة رغيف الخبز الذي تصنعه أفران الدولة وندرته في مرات كثيرة في مدينة كالحسكة التي تعتبر سلة سورية الغذائية". تعمل زهرة منذ العاشرة صباحاً حتى انتهاء عجينها، تخبز ما تيسر لها، أما البيع فحسب حظها، تقول: "قد أبيع كل ما أصنعه، وقد يحدث العكس ويظل الخبز معي ويصير يابساً بعد ساعات قليلة". تبيع زهرة رغيف التنور بسعر ١٥ ليرة سورية وتشتري كيس الطحين بسعر ٤٥٠٠ ليرة، تقول: "حقيقة لا أعرف كم يكفيني الكيس، لا أعدّ الأرغفة كي لا تطير البركة". تقف زهرة في شمس الحسكة الحارقة صيفاً وبردها القارس شتاء لتؤمن قوت صغارها، تضع قبعة تحميها من شمس كانت قد لوحت روحها قبل وجهها.

هذا بعض ما تقوم به النساء في الحسكة، ومع انتشار ظاهرة التسول بشكل كبير، نتساءل كيف تستطيع دولة مثل سوريا مواجهة كل هذا الفقر حين يقاس الفقر بالنسبة إلى حصة الإنفاق على وسائل العيش الضرورية، من سكن، غذاء، صحة وتعليم؟ دولة أنتجت بالأصل البطالة والفقر عبر سياستها غير العادلة، من خلال سوء توزيع الدخل الوطني وعملية الإفقار التي استفادت منها شريحة ضيقة لخدمة مصالحها، كيف تستطيع مواجهة الطامة الكبرى في حرب جرت ما جرّته على البشر والحجر؟

تنظيم ورشة تدريبية للسيدات في الحسكة من خلال العمل على تغيير الصورة النمطية للمرأة

فريق سيدة سوريا

نظمت مجلة "سيدة سوريا"، بالتعاون مع شبكة المرأة السورية، الشهر الفائت، ورشة عمل في مدينة القامشلي بالحسكة، وذلك متابعة في مشروع تغيير الصورة النمطية للمرأة السورية. وقد عمل مكتب "سيدة سوريا" في القامشلي على توفير الشروط الملائمة والضرورية لاستضافة الورشة التدريبية، التي شاركت فيها مجموعة من السيدات في محافظة الحسكة.

هذا وتعتبر الورشة هي الثالثة التي تقيمها "سيدة سوريا" و"شبكة المرأة السورية"، في سياق تغيير الصورة النمطية للمرأة والحد من العنف، بدعم من منظمة "أولف بالمه" السويدية. إذ نظمت الورشة الأولى في مدينة غازي عنتاب بتركيا، والثانية في تجمع مخيمات اطمة بإدلب. ويوضح مراد عيد، من فريق التدريب، أن هدف الجزء التدريبي من المشروع هو "تطوير قدرات ٧٥ امرأة سورية، ٦٠ منهن في الداخل السوري و١٥ في في تركيا، وتضمن برنامج الورشة، التدريب على تحرير الخبر وصناعة التقرير الإذاعي.

ويضيف "عيد" أن الورشة ركزت بشكل أساسي على كيفية التحرير وبناء المادة المكتوبة أو الإذاعية، بما فيها صياغة العواجل، وهي خطوة هامة لمنح المرأة فرصة التعبير عن الظروف التي تعيشها، ونقل معاناتها وتجربتها الى الآخرين.

ولاقت الورشة في قامشلي استجابة كبيرة من قبل المشاركات، سواء من جهة الحضور أم الاهتمام بالأفكار والنقاشات التي طرحت خلالها. وتشير غوين أحمد وهي إحدى المشاركات، إلى أهمية هذه الخطوات بهدف التواصل بين الناشطات، حيث ضمت الورشة سيدات وناشطات من جميع مكونات المنطقة وتضيف، في الأساس علاقتنا بمكتب سيدة سوريا، علاقة قديمة وتجددت عبر هذا الكورس، الذي يفتح باباً للتواصل بيننا، كذلك يمكنّنا من إيصال صوتنا والتعبير عن أنفسنا"، على حد تعبيرها.

إن إقامة مثل هذه الورشات هي مقدمة لنشاطات ومشاريع قادمة، حسبما يفيد القائمون على المشروع. ويشير مراد عيد إلى أن هذه الورشة كانت فرصة لتدريب المشاركات على كيفية استخدام برنامج مونتاج للصوت على أجهزة الهواتف الذكية، حيث جرى تنصيب البرنامج على الأجهزة، ما يمكن المشاركات من استخدامه والاستفادة منه في المونتاج عبر الموبايل، في غياب اللاب توب والذي لا يمتلكه الجميع في الداخل.

وتتحدث "نجاح سفر"، عضو اللجنة الإعلامية في شبكة المرأة السورية، عن أهمية تنظيم هذه الورشة في الداخل السوري، حيث فرص النساء هناك أقل من فرص المقيمات في الخارج، وذلك بسبب الظروف الأمنية التي يعيشها السوريون داخل البلاد. وترى أنه لا بد من الوقوف إلى جانب المرأة السورية ومساندتها في هذه

الظروف، ولا بد من توضيح واقعها، وتصويب الصورة النمطية عن المرأة، من وتوظيف الجهود للمطالبة بحقوقها، قبل المؤسسات النسوية ومنظمات المجتمع

المدني، لتمكينها وتطوير قدراتها وتحسين واقعها.

كما تتحدث إحدى المشاركات عن فكرة تغيير الصورة النمطية للمرأة، بأن هناك صورة لا تعكس الجانب الحقيقي والواقعي لقضايا المرأة وطموحاتها، ما يؤدي إلى تجاهل مسألة حرية المرأة وإعطائها حقها في المشاركة بقوة في بناء المجتمع. وتضيف المتدربة قائلة: "في الحقيقة علينا أن نبذل كل جهودنا لتغيير هذه الصورة، وتالياً تغيير واقع المرأة، وباعتبار أننا نعيش مرحلة التغيير، فمطالبنا التي خرجنا من أجلها، ولا نزال نضحي في سبيلها، لا تتوقف عند إسقاط النظام السياسي، بل لا بد من تغيير أي فكر شبيه، سواء كان يخص نظام الحكم السياسي أم الاقتصادي والاجتماعي...".

ويفيد مراد عيد بأن مشروع التعاون بين شبكة المرأة السورية، و"سيدة سوريا"، متضمنا هذه الورشات والفعاليات، يهدف إلى إخراج المستهدفات من السوريات من حالة الجمود وصقل مهاراتهن، ليكنّ قادرات على المشاركة في بناء المجتمع وتطويره.

وفي الصدد، أرسلت مجموعة من المشاركات، وأخريات من خارج الورشة، نصوصاً للمشاركة في مسابقة نظمتها "سيدة سوريا وشبكة المرأة السورية"، في سياق مشروع تغيير الصورة النمطية للمرأة. حيث أطلقت مسابقة للكتابة القصصية غير الاحترافية، بهدف اختيار عشرة نصوص فائزة مع جوائز تصل إلى خمسة آلاف دولار أمريكي. واستهدفت المسابقة شريحة واسعة من نساء سوريا، من "مختلف المشارب والخلفيات السياسية والعرقية والطائفية". وركزت هذه التجربة على أسلوب البوح في الكتابة، لإضفاء اللمسة الإنسانية التي غابت بسبب العنف في سوريا، من خلال التجارب الحية التي عايشتها النساء في الداخل، على اعتبارهن الخاسر الأكبر ضمن ما يجري في البلاد.

ماجدولين حسن لسيدة سوريا:

"النساء اللواتي تصدرن المشهد النسوي الحالي تصدرنه من باب (البريستيج) الاجتماعي"

المرأة السورية بين معترك الإعلام والسياسة

تكرار للوجوه ومراوحة في المكان

حاورتها سيدة سوريا

يشهد الحراك النسائي السوري تطوراً ملحوظاً منذ بداية الثورة السورية، لكنه يعاني تهميش غالبية النساء واقتصار التمثيل على شريحة ضيقة، فضلاً عن ضعف الحضور الإعلامي.

سيدة سوريا التقت الحقوقية وعضو مبادرة نساء سوريات من أجل السلام والديمقراطية ماجدولين حسن، في حديث تضمن توصيف مشهد الحراك النسائي السوري واقتراح المخارج.

هل ساهم ما قدمه إعلام النظام عن المرأة قبل الثورة السورية آذار ٢٠١١ في تغيير صورتها النمطية، وماذا عن إعلام المعارضة وحضور العديد من الناشطات إعلامياً بما يمكن أن يتضمن تغييراً لواقعهن الاجتماعي؟

توجهت المرأة إلى سوق العمل خلال السنوات الأخيرة بوتيرة متصاعدة، هذا التوجه لم ينعكس إعلامياً، بل استمر تقديم الصورة النمطية لها كربة منزل، أو امرأة عاملة تحاول إثبات نفسها في محيط لا يعترف بها، دون تقديم صور نجاحات لافتة للنساء.

أما عن إعلام المعارضة، فقد يكون الأصح أنه الإعلام الذي ظهر في ظل الثورة. لقد خلق الفرص لظهور مراسلات، وركز على ظهورهن، لكن هناك عدة أسباب خلف ذلك منها غياب الناشطين الذكور نتيجة الاعتقال أو الاضطرار لمغادرة البلاد، فيما استطاعت النساء الحرية بحركة أكبر. ولا أعتقد أن إعلام المعارضة قدم صورة جيدة عن واقع المرأة السورية (مع أنها حكماً أفضل مما قدمه النظام)، فالمرأة تصدرت المشهد الثوري في سوريا، والإعلام الثوري لم يستطع أن يصور الدور الأبرز الذي لعبته.

منذ بداية الثورة أطلقت توصيفات من مثل "حرائر" على العديد من الكتل والتجمعات النسائية المحلية، في المقابل استخدمت العديد من التوصيفات المرتبطة "بالشرف" في حرب النظام والمعارضة عبر الإساءة للمرأة، ما موقفك من هذا التنميط؟

أعتقد أن النظرة التقليدية للمرأة على أنها مستودع شرف للعائلة، كما هو وارد في التاريخ والواقع الاجتماعي وحتى القانون، هي التي عكست هذا الأداء، فكثير من النساء الناجحات وصفن ويوصفن بالعهر، وهذا مرده إلى الثقافة الذكورية السائدة في المجتمع والتجرؤ على إطلاق أحكام القيمة. برأيي أن ما حدث في سوريا هو "ثورة من الشائعات". كان طبيعياً أن تنعكس ثقافة مجتمعنا المستندة على التقاليد والدين، الذي لم ينصف المرأة كما لم تنصفها الثورة ولم ينصفها النظام السوري قبل ذلك، المرأة السورية تحتاج أن تسبح عكس التيار لتنصف ذاتها.

كيف تنظرين إلى تهمة "جهاد النكاح"، والاتهامات المتعلقة بالشرف، التي اعتمدها إعلام النظام خلال حربه على الشعب السوري؟

هذا عائد إلى تعريف الشرف، الذي لا يوجد في جسد أي امرأة أو رجل، بل في المنظومة الأخلاقية والقيمية التي يعيش فيها الإنسان. أما عن موضوع جهاد النكاح، مما نسمعه حتى في نشرات الأخبار، فهو تكريس للصورة النمطية للنساء، في حين أنهن قد يكن مقاتلات كما هو حال المرأة الكردية وغيرها في صفوف النظام وبعض كتائب المعارضة، اللواتي رغم مشاركتهن في القتال تنحصر تهمهن في جهاد النكاح. هذا الدور القتالي للمرأة تراجع أما الصورة النمطية للمرأة كجسد وكمستودع للشرف، وطبيعي أن يلجأ النظام لهذه الطريقة أمام مجتمع ثار على نظام سياسي ولم يثر على نظام اجتماعي.

برأيك ما الذي تحتاجه المرأة السورية لكي تثبت نفسها وتنتزع مكانتها، وهل توافقين على استخدام مفردة "الانتزاع" في وصف مساعي المرأة السورية لنيل حقوقها، ولماذا؟

كل ما هو مغتصب يجب انتزاعه، وحقوق المرأة السورية مغتصبة أو مغيبة فلا بد من انتزاعها، لكن ممن؟ من هو عدو المرأة فيما يخص الحصول على حقوقها؟ هل هو الذكر؟ بالطبع لا، هل هو المجتمع؟ احتمال، هل هي الثقافة والدين: مؤكد. أمامنا كنساء مجموعة من

الخصوم يقفون بين المرأة وحقوقها، بدءاً من اللغة العربية التي تحتوي الكثير من الأمثلة على عدم الإنصاف، فحين تجتمع عشرون امرأة ورجل يخاطب الجميع بخطاب مذكر، ويقابل الرجل المصيب في رأيه امرأة "مصيبة"، والنائب في البرلمان "النائبة"، هذه اللغة هي ذاتها التي سمّت النساء "بالحرائر"، وهي تسمية تعكس نظرة جسدية للمرأة تقول بأنها يجب أن تكون إما عبدة أو حرة، في سوق النخاسة أو سيدة قصر. فاللغة لم تنصف المرأة ونحن أبناء هذا التراث العربي والديني لم ننصفها، خصوم المرأة برأيي هي الأعراف والتقاليد، والعقلية الذكورية المهيمنة في المجتمع .

أما عن بداية تحرر المرأة برأيي فهي في الاستقلال الاقتصادي، لأن من يمتلك المال يمتلك القول.

برأيك ما هو حجم الأجندة النسوية في تفكير السوريين حسب ما يظهر في الإعلام؟

أعتقد أن على الإعلام تسليط الضوء على مشاكل النساء اللواتي عشن الحرب وواجهن واقع اللجوء وإعالة أسرهن، وواقع استعبادهن من خلال التزويج القسري. المشكلة الأساسية التي تواجه هؤلاء النساء هي غياب الديمقراطية، فليس هناك إمكانية لأي تغيير في واقع المرأة في العالم بغياب الديمقراطية. عند الاعتداء على حقي كمواطن بغض النظر عن الجنس، أعرف أن هناك مؤسسة تحميني هي القضاء أو الإعلام أو المجلس المحلي وما إلى ذلك... وفي غياب هذا المؤسسات نتيجة غياب الآليات الديمقراطية، لا تكون المسألة مسألة وعي، فحتى لو كنت أعي حقوقي كاملة، فما من آلية للحصول عليها. المرأة السورية غائبة عن الإعلام كقيادية رغم التطور اللافت لدورها خلال السنوات الأخيرة، ومن ثار على النظام هي مناطق الأرياف، والمناطق المهمشة فضلاً عن المجتمعات المحافظة، ورغم ذلك تصدرت المرأة المشهد نتيجة قدرتها على التطور والتحرك في حال رفعت عنها القيود.

كيف تقيمين تجربة الإعلام النسوي المطبوع الذي يوزع في الداخل السوري؟ وما هي الآليات التي يمكن أن يتبعها بما يضمن طرحاً أكثر توازناً لقضايا المرأة؟

اطلاعي على هذه المجلات يتم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، نتيجة تعذر الوصول إلى العديد من المناطق في سوريا، على هذه المجلات هو أن تكون واقعية، فهناك ما نطمح له، وما هو كائن، وما نقوم بتزيينه، هذا التزيين هو ما يجب التخلي عنه. هناك صحافة نسائية تبذل جهوداً ملفتة، لكن واقع المرأة السورية اليوم يحتاج لما يمكن تسميته بخطة إنقاذ تبدأ من الإعلام كونه الوسيلة الأكثر انتشاراً. ولا بد من لفت الانتباه إلى أن الشرائح المستهدفة أكثرها في المخيمات، التي تشهد أعلى نسب للأمية، والسؤال هنا: من يقرأ هذا النتاج المطبوع؟ كلنا نعلم أن من يقرأنها هن النساء اللواتي قطعن مرحلة مهمة من وعيهن لحقوقهن، وهنا نتوقف عند احتمال بذل جهود لإيصال المحتوى إلى النساء العاديات، علماً أن غالبية المتنورات انشغلن بقضايا الإغاثة والدعم النفسي.

أعتقد أن التركيز على دور النساء الرياديات على المستويين السياسي والمدني هو الأساس، حتى اليوم ليست هناك جهات إعلامية تتحدث عن النساء السياسيات أو اللواتي يلعبن أدواراً بارزة في المجتمع المدني، ولا على نسويات مناضلات في سبيل حقوق المرأة أو تجربة نسوية إيجابية، التركيز يتم فقط على شخصيات لا تؤثر في العمق على قضية المرأة.

هل توافقين على وجود طبقة مخملية بين النساء السوريات؟

"للحقيقة وجهان والثلج أسود فوق مدينتنا"، يقول درويش. أظن أن معظم النساء اللواتي تصدرن المشهد النسوي الحالي تصدرنه من باب "البريستيج" الاجتماعي، النساء اللواتي غادرن سوريا قبل عشرات السنوات لم يعرفن معاناة أمهاتنا. لا يعرفن معاناة المرأة الموجودة اليوم في الغوطة، التي تتحمل عبء إعالة أسرتها لأن المعيل قتل أو اعتقل أو هو في عداد المفقودين، فالترف النسوي الحالي يجب أن يعاد النظر فيه.

كيف يمكننا الحديث عن تقديم إعلام النظام للمرأة السياسية، وكيف استفاد من بعض الوجوه النسائية، وكذلك إعلام المعارضة؟

لم يقدم الإعلام السوري أي امرأة تعمل في المجال السياسي، قدم اللواتي عملن في الاتحاد النسائي، مع الكثير من التحفظ على اسم المؤسسة، قدم صورة مومياءات متحركة، فالاتحاد النسائي لم يستطع خلال ٥٠ سنة تغيير قانون، ولا إصدار بيان، ولا الوقوف في وجه جرائم الشرف ولا حتى تسليط الضوء عليها، ولم يستطع تعديل قانون الجنسية السورية، بالتالي فيما يخص النظام السوري المسألة الأساسية هي غياب الديمقراطية الذي يصعّب عملية التقييم، فرئيسة الاتحاد النسائي في سوريا، حتى لو كان موقفها ضد جرائم الشرف، لا تستطيع أن تعلنه ولا أن تدعو لتجمع نسائي يندد بجرائم الشرف. النساء في صفوف النظام مغيبات وموجودات في مواقع أشبه بأحجار الشطرنج التي يلعب بها. وحتى عضوات مجلس الشعب، لم يقم إعلام النظام بتقديمهن كسياسيات.

أما عن إعلام المعارضة، فهناك بعض المحاولات الخجولة لتظهير نساء ذوات صلة بالحراك الثوري في سوريا، لا نساء سياسيات. وأنا لا أرى أن هناك نساء سياسيات قياديات بمعنى القيادة في المعارضة السورية، باستثناء المرأة الكردية التي تتصدر المشهد، كسياسية ومقاتلة وامرأة موجودة على أرض الواقع، وتمتلك وعياً سياسياً عالياً بالعموم ووعياً سياسياً خاصاً بقضية المرأة.

إلى أي حد ترى ماجدولين حسن أن المرأة نفسها مسؤولة عن إقصائها سياسياً؟

ترفض غالبية النساء العاملات في الشأن المدني والمطالبات بالمشاركة السياسية للمرأة التواجد في حزب سياسي، لأنهن يخسرن بذلك ميزات العمل المدني، وهنا نتوجه إليهن بأنه إن كانت الأحزاب الموجودة غير مرضية، فما المانع من تشكيل حزب جديد؟ لا بد من تواجد النساء ضمن تنظيمات حزبية سياسية بما يسهل إحلال السلام، كون النساء أميل إليه، لكنهن عاجزات عن تحقيقه طالما هن خارج نطاق صناعة القرار السياسي، لأن ما يتحكم في المجتمع هو السياسة. النساء لم يقصين أنفسهن ولكنهن لم يتمكنّ من الأدوات، كان هناك اكتفاء بالتفكير بحقوق النساء دون الالتفات إلى آليات للتنفيذ.

هناك من النساء السوريات من يحاولن إظهار المعرفة السياسية المطلقة، علماً أنهن في العمق لا يمتلكنها، فيما هناك نساء مصرات على التمكين والبدء من الصفر في كل ورشة عمل سياسية، ماذا تقولين؟

برأيي أن فكرة التمكين هي مجرد تبرير للسياحة السياسية، وسياحة الورشات، ورم ادعاء معرفة كل شيء، وإرادة التواجد في كل مكان هو كارثة بحد ذاتها، أنا أؤمن بالتخصص وبالعمل التراكمي، لكن بعد ٤ سنوات من تمكين النساء عبر ورشات العمل، نسأل: ما هو مستوى الفائدة الذي تحقق لدى أي سيدة بين أول ورشة عمل قبل ٤ سنوات وآخر ورشة؟ أرى أن معظم ما قدم في ورشات العمل لم ينعكس على أرض الواقع، التمكين هو محاولة لتزيين السياحة السياسية، فليس مبرراً وجود نفس النساء القياديات في جميع التشكيلات النسائية السياسية منها والمدنية في آن معاً، وكأنه ما من نساء في سوريا، وفي حال طلبت التوسعة في أي من تلك المؤسسات يوافقن عليها ويعملن ضدها تجنباً لخسارة الامتيازات. لا بد من الاعتراف بوجود عقلية احتكارية، فقد ألغيت المادة ٨ من الدستور السابق ولم تلغَ عقلية المادة ٨ في إقصاء الآخر المختلف. سياسة أنا ومن بعدي الطوفان هي أحد مسببات الواقع النسائي الحالي، لا بد من تجاوز العمل الفردي، باللجوء إلى التنظيمات والتشكيلات.

هل تعتبرين أن إعلام الثورة أنصف المعتقلات السياسيات في سوريا؟

أعتقد أن المعتقلات في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي لم يأخذن حقهن على الإعلام إطلاقاً، ولم يأخذن حقهن في العمل السياسي حتى الآن.

بتاريخ ٢٦ – ١١ – ١٩٩٠، تم إطلاق سراح ١١١ امرأة من المنتسبات لحزب العمل الشيوعي، أتحدى أي ناشطة مدنية أو سياسية أو مهتمة بقضايا المرأة اليوم أن تعرف أسماء ١٠ منهن، هذا غير النساء اللواتي اعتقلن باسم الإخوان المسلمين والاتحاد الاشتراكي، وعلى خلفية المشاركات في المطالبات الحقوقية، ليست هناك أي إشارة إليهن ولا حتى في مقالة، فيما هناك عشرات المقالات عن سيدة قد تكون اعتقلت لمدة أيام، وليس هذاً تقليلاً من شأن اعتقالها، فالاعتقال بالنسبة لي لا يقل شأنه حتى وإن كان ليوم واحد، لكن

صنع الأيقونات من بعض النساء على حساب الرياديات في العمل السياسي غير منصف.

فيما يخص معتقلات الثورة، هناك معتقلات تحولن لنجمات، وهناك معتقلات للأسف لم تذكر أسماؤهن.

وبغض النظر عن المطالبة بأي معتقل وبوقف الاعتقال التعسفي، وهو موضوع حقوقي لسنا بصدده، لكن الكثير من المعتقلات لم يأخذن حقهن، خصوصاً أن الاعتقال في بيئتنا يتحول إلى وصمة اجتماعية، ترفع احتمالات التحرش والاعتداءات الجنسية على المعتقلة.

وهنا لا بد من مطالبة الإعلام النسائي بتخصيص مقال في كل عدد عن معتقلة سياسية سابقة، فهو أقل حق لهن أمام تضحياتهن بسنوات في المعتقل.

كيف تقيمين دور التشكيلات النسوية اليوم في تفعيل الحضور النسائي؟

حالياً هناك قوى دولية تعمل على مشاركة النساء ودعم وجودهن، للأسف هناك نساء مستفيدات من رغبة القوى الدولية بأن يكون لديهن حضور، لا بد من وجود النساء، لكن بأدوات فكرية وإيديولوجية مختلفة عما لدى النساء السوريات اليوم، والتي لن تنتج برأيي تفعيلاً لحضورنا كنساء، يجب ألا ننتظر من يضعنا في المكان المناسب، بل أن نبادر نحن لوضع أنفسنا فيه، لذلك أرى أن دور هذه التشكيلات مهم جداً، لكن لا بد للنساء من أخذه على عاتقهن كتنظيمات لا كشخصيات، ما يساعد على خلق أثر أكثر فاعلية، ويكون أقرب لمعرفة واقع النساء السوريات على الأرض، ويصل بالمرأة إلى مواقع صنع القرار، ضمن تعامل المجتمع الدولي القائم على القرار ١٣٢٥، والذي لم تستطع النسويات في سوريا استثماره بشكل كامل، وأظن أن السيدات السوريات الفاعلات، واللاتي ربما لا يتجاوز عددهن ١٠٠ امرأة، نصفهن لا يعرفن تفاصيل القرار ١٣٢٥، والنصف الباقي كلهن يسعين إلى تصدر المشهد، والموقف هنا ليس من الأشخاص بل من الأدوات المعرفية التي لا يملكنها، هناك مساع للمشاركة في العمليات التفاوضية فيما يجب ألا ننسى أن أمهر المفاوضين هو أكثرهم ثقافة.

بوح نسائي .. مسابقة الكتابة غير الاحترافية

الحرب خسارة لكل السوريين

سيدة سوريا

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

في سياق التعاون بين مجلة سيدة سوريا وشبكة المرأة السورية لتنفيذ نشاطات مشروع "تغيير الصورة النمطية للمرأة" الذي تدعم تنفيذه منظمة "أولوف بالمه" السويدية، والذي يتضمن العديد من النشاطات، تعلن مجلة سيدة سوريا وشبكة المرأة السورية، إطلاق مسابقة الكتابة غير الاحترافية للسيدات السوريات، والتي تخص كتابة القصة.

حيث تستقبل هيئة المسابقة نصوصاً لم يتم نشرها سابقاً، لسيدات لم يقمن بنشر مجموعات قصصية أو شعرية أو روايات، وألا تكون المادة المشاركة منشورة في صحف أو دوريات أو جزءاً من كتاب أو موقع إلكتروني أو حتى على صفحة شخصية على موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك.

• يشمل موضوع الكتابة:

معاناة السوريات في ظروف الحرب، نساء سوريات انتصرن على ظروفهن، الحرب خسارة لكل السوريين، وأمثلة عن تعاضد السوريين.

حيث تُقبل النصوص المشاركة من داخل أو خارج سوريا، على ألا يقل عمر المشاركة عن ١٧ عاماً، أن تشارك المتسابقة بمادة واحدة فقط.

• لا تلتزم هيئة المسابقة بإعادة النصوص سواء فازت أو لم تفُز

ترفق المادة بأوراق ثبوتية: هوية أو جواز سفر أو إخراج قيد

يبدأ استقبال النصوص من تاريخ ٢٠١٥/٧/١ إلى ٢٠١٥/٩/٣٠

تعلن النتائج في٢٠١٥/١٢/١ في عدد مجلة سيدة سوريا المطبوع وموقعها الإلكتروني وصفحتها على فايسبوك وعلى موقع شبكة المرأة السورية.

• تقوم لجنة القراءة المشكّلة من ثلاثة أعضاء باختيار عشرة نصوص فائزة، جائزة كل منها ٥٠٠ دولار أميركي.

• تلتزم هيئة المسابقة بطباعة جميع النصوص الفائزة، وتحتفظ لذلك لنفسها بحقوق الطباعة لأول مرة، ولا يحق للمشاركات نشر النص المرسل إلى المسابقة قبل إعلان النتائج، كذلك النصوص العشرة الفائزة، حيث لا يحق نشرها إلا بعد توزيع الطبعة الأولى من قبل هيئة المسابقة، على أن تلتزم هيئة المسابقة طباعة النصوص وتوزيعها خلال مدة أقصاها ٣ أشهر من إعلان النتائج.

• لا يحق لأي فائزة بأحد النصوص العشرة إجراء أي تعديل على النص بعد اعتماده وإعلان النتائج.

• بعد التأكد من استيفاء النصوص المشاركة للشروط المدرجة في هذا الإعلان، تقوم هيئة المسابقة بتوجيه النصوص إلى لجنة القراءة، حيث يتم اختيار ثلاثين نصاً جديراً بالتسابق على الفوز، وفق معايير يتم الاتفاق عليها، ثم يتم اختيار عشرة نصوص فائزة استناداً إلى نقاط تضعها لجنة القراءة، وتعتبر فائزة بنفس الدرجة.

• تلتزم سيدة سوريا بنشر النصوص العشرين الإضافية على صفحات المجلة خلال الإصدارات المتتالية، وهي المتبقية من الثلاثين نصاً المعتمدة للتنافس على الجائزة، ببدل خمسين دولاراً أميركياً لكل نص، ولا يلزم ذلك أصحاب النصوص.

• يحق لفريق سيدة سوريا إجراء التحرير اللازم على النصوص لجعلها مناسبة للنشر دون أن يؤثر ذلك على محتواها وسياقها العام.

• ترفض النصوص التي تحرض على القتل والعنف والطائفية.

• المرفقات المطلوبة حين إرسال النص: هوية شخصية أو جواز سفر أو إخراج قيد، إضافة إلى سيرة ذاتية لا تتجاوز عشرة أسطر.

• إقرار من سطر واحد يؤكد أن النص لم يشارك أو يفز أو ينشر في أي صحيفة أو كتاب أو موقع إلكتروني أو صفحة إلكترونية شخصية.

• تعهد مكتوب من سطر واحد الالتزام بشروط المسابقة

وفي حال مخالفة الشروط والضوابط القانونية المذكورة أعلاه فإنه سيتم سحب الجائزة أو اتخاذ الإجراءات القانونية بحق المخالفة.

تقبل المشاركات على bawhnesaie.competition@gmail.com

الحضور النسائي العالمي في الأمم المتحدة ومجلس الأمن

طموح قد يتكلل بمنصب الأمين العام

نجاح سفر
شبكة المرأة السورية

بات من المألوف في وقتنا الراهن مشاهدة العديد من ممثلات الدول من النساء في مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وأصبح ذلك ممكناً نتيجة لأمرين أساسيين، أولهما الحقوق التي اكتسبتها المرأة في نضالها نحو المساواة في كل دولة من الدول على حدة، وثانيهما التغير في نظرة المجتمع الدولي لموضوع حقوق المرأة وأهمية تمثيلها في المحافل الدولية. وقد تم دعم ذلك من خلال عدة قرارات هدفت إلى تمكين حضور المرأة، وكان أكثرها فاعلية القرار ١٣٢٥ الصادر عن مجلس الأمن الدولي عام ٢٠٠٠، والذي يؤكد بشكل واضح لا يقبل اللبس الدور المهم للمرأة ومساهمتها المتكافئة ومشاركتها الكاملة في جميع الجهود الرامية إلى حفظ السلام والأمن وتعزيزهما، وضرورة زيادة دورها في صنع القرار.

مازال ازدياد نسبة ممثلات الدول من النساء في المنظمة الدولية بطيئاً نسبياً، لكنه مستمر بثقة في ذات الوقت، ونسبة النساء إلى الرجال في المناصب الدبلوماسية تصبح مع الوقت أكثر توازناً ومنطقية. واليوم هناك حوالي ثلاثين امرأة يمثلن بلدانهن كمندوبات دائمات، أي ما يقارب ١٥% من مجموع ١٩٣ بلداً عضواً. و"مجموعة الثلاثين" هذه، كما يطلق عليها في أروقة الأمم المتحدة، قد لا تبدو ذات حجم مهم، لكنها في الواقع عميقة الدلالة إذا ما أخذنا في الاعتبار السيطرة الكاملة للرجال على التمثيل في المنظمة منذ عام ١٩٤٥، كما أن نسبة التمثيل في مجلس الأمن بلغت أرقاماً غير مسبوقة خلال عامي ٢٠١٤ و٢٠١٥، إذ بلغ عدد النساء (٥) في عام ٢٠١٤، هن ممثلات الأرجنتين وليتوانيا وأمريكا ونيجيريا والأردن، و(٦) في العام ٢٠١٥، مع وجود اللوكسمبورغ، من أصل ١٥ عضواً هم أعضاء مجلس الأمن، وهو الرقم الأعلى في تاريخ المجلس.

دعم عالمي

وترافق هذا التطور اللافت في نسب تمثيل المرأة مع انتخاب بعضهن لمنصب الرئاسة الدورية الشهرية للمجلس، حيث ترأست مندوبة ليتوانيا المجلس في شباط/فبراير ٢٠١٤، ومندوبة اللوغسمبورغ في آذار/مارس من نفس العام، ثم ممثلة نيجيريا في نيسان/أبريل، ثم ممثلة الأردن السيدة دينا قعوار في نيسان/أبريل عام ٢٠١٥، في الوقت الذي يتعامل فيه المجلس والمنظمة مع قضايا عالمية في غاية الخطورة، مثل خطر التطهير العرقي في أفريقيا الوسطى والأزمة في أوكرانيا والمأساة السورية.

ويبدو أن العالم كله بات معجباً بهذه الظاهرة، وأصبح للمرأة الكثير من الداعمين من الدول والمؤسسات من أجل تقلدها المناصب المرموقة في المحافل العالمية، فقد ارتفعت نسبة التمثيل النسائي في مجلس الأمن إلى حوالي الثلث منذ العام ٢٠١٠، ويبدو أن الأمر أصبح نوعاً من أنواع العرف أو التقليد، تقليد أصبح واضحاً من خلال حجم القيادات النسائية حول العالم وفي برلمانات الدول.

ولم يكن الحال كذلك دائماً، ففي عام ١٩٦٠ كان هناك ثلاث نساء فقط يترأسن حكومات دولهن، ومنذ ذلك الوقت استلمت ٩٤ امرأة قيادة ٦٧ دولة، وإذا نظرنا إلى الأمر من الناحية الجغرافية، فإن أوروبا تتصدر المشهد بـ٣٩ امرأة ثم أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي بـ١٨ امرأة، آسيا ١٦، أفريقيا ١٥، أوقيانوسيا ٣، الشرق الأوسط ٢ وأمريكا الشمالية بامرأة واحدة.

منصب الأمين العام

أما فيما يخص منصب الأمين العام للأمم المتحدة، فقد شُغِل هذا المنصب منذ تأسيسه عام ١٩٤٥ من قبل ثلاثة أوربيين وأفريقيَّين اثنين وآسويّين اثنين ورجل من أمريكا اللاتينية، بينما لم تشغله أي امرأة، لكن يبدو أن الوقت حان لحدوث ذلك، فقد

مهد اختيار إيرينا بوكوفا في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩ كأول امرأة تشغل منصب رئيس منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، مهد الطريق أمام ارتفاع سقف طموح المنظمات النسائية الدولية، التي بدأت منذ ذلك الوقت تتطلع إلى أكبر منصب أممي. وحينما ينهي الأمين العام الحالي بان كي مون ولايته الحالية في نهاية عام ٢٠١٦، ستتعرض الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، والتي لها القرار في النهاية بشأن المرشحين لخلافة بان كي مون، لضغوط معنوية من أجل تعيين امرأة.

وعلى مستوى المنظمات التابعة للأمم المتحدة، فإن نسبة مشاركة النساء تشهد أيضاً تزايداً ملحوظاً، وتحتل النساء مناصب بارزة. مثل السيدة فاليري آموس، الوزيرة البريطانية السابقة، التي تتولى منصب منسقة الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة، في حين ساعدت الألمانية أنغيلا كانه، الممثلة العليا للسكرتير العام للأمم المتحدة لشؤون نزع السلاح، في تمهيد الطريق أمام نزع ترسانة سوريا من الأسلحة الكيماوية. كما ترأست سيغريد كاج، الدبلوماسية الهولندية التي تعمل في الأمم المتحدة، مهمة المنظمة الدولية للتأكد من تدمير الأسلحة الكيماوية السورية. وتدير الدكتورة مارغرت تشان، التي سلطت عليها الأضواء في الآونة الأخيرة بسبب تفشي مرض الإيبولا، منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة. وفي آب/أغسطس ٢٠١٤، أصبحت النرويجية الميجور جنرال كريستين لوند أول امرأة تقود قوة حفظ سلام تابعة للأمم المتحدة في قبرص، والتي يتجاوز عددها ألف شخص.

وفي إحصائية نشرتها الأمم المتحدة عام ٢٠١٢ كان عدد الممثلين الدائمين من النساء في نيويورك ٣٠ امرأة، أي ما نسبته ١٦% من مجموع الممثلين الدائمين البالغ عددهم ١٩٢. وفي ذات الإحصائية بلغ عدد النساء اللواتي تقلدن مهمات كممثلين خاصين عن الأمانة العامة ١٢ امرأة، أي ما نسبته ١١% من مجموع الحالات، خمسة منهن في بعثات إلى إفريقيا وامرأة واحدة إلى أوروبا وكذلك امرأة واحدة إلى الشرق الأوسط، بالإضافة إلى خمس نساء في بعثات مهمة أخرى.

مساواة منقوصة

في المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة الذي عُقد عام ١٩٩٥ في بيجين، دعت ١٨٩ حكومة إلى إعداد "آليات لترشيح النساء للتعيين في الوظائف العليا في الأمم المتحدة". وتحدد عام ٢٠٠٠ بوصفه الموعد المستهدف لبلوغ "المساواة بين الجنسين عموماً، لا سيما على مستوى الفئة الفنية وما فوقها". وها نحن الآن في عام ٢٠١٥، ولم تصل الأمم المتحدة بعد إلى هذا الهدف. لن تتحقق المساواة بين الجنسين والتنمية والسلام العالمي مطلقاً ما لم تصل المرأة على قدم المساواة مع الرجل إلى مواقع السلطة وصنع القرار، وما لم توجد عملية واضحة لبلوغ ذلك.

على مستوى مندوبي الدول في نيويورك، بلغ عدد النساء قبل عام ١٩٨٠ تسع نساء فقط، وارتفع الرقم بين ١٩٨٠ و١٩٩٠ إلى ١٤ مندوبة (أربع إفريقيات، أمريكية، أوروبيتين وآسيوية واحدة)، وواصل الرقم الارتفاع في التسعينيات ليصل مع حلول العام ٢٠٠٠ إلى ٢٣ امرأة (أربع إفريقيات، سبعة من الأمريكيتين، سبعة آسيويات وثلاث أوربيات)، ثم ٤٨ امرأة ما بين ٢٠٠٠ و٢٠١٠ (تسع أوربيات، تسع إفريقيات وست آسيويات)، و٢١ امرأة ما بعد العام ٢٠١٠ (ثلاث عربيات، أربع أوروبيات، خمس آسيويات وستة من الأمريكيتين).

إحصائيات

وفيما يلي بعض الإحصائيات عن نواب ممثلي الدول من النساء في نيويورك وممثلي البعثات الدبلوماسية للدول في مكاتب الأمم المتحدة في جنيف وفيينا.

نائب ممثل الدولة:

بين عامي ١٩٥٦ - ١٩٧٤: ٦ نساء.
بين عامي ١٩٧٤ - ١٩٨٠: ٣ نساء.
بين عامي ١٩٨٠ - ١٩٩٠: ٧ نساء.
بين عامي ١٩٩٠ - ٢٠٠٠: ٢٠ امرأة.
بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠١٠: ٦٢ امرأة.

ممثلو الدول في مكتب الأمم المتحدة في جنيف:

بين عامي ١٩٦٥ - ١٩٨٠: ٣ نساء.
بين عامي ١٩٨٠ - ١٩٩٠: ٧ نساء.
بين عامي ١٩٩٠ - ٢٠٠٠: ٢٣ امرأة.
بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠١١: ٣٠ امرأة.

ممثلو الدول في مكتب الأمم المتحدة في فيينا:

بين عامي ١٩٨٨ - ٢٠٠٠: ٢٣ امرأة.
بين عامي ٢٠٠٠ - ٢٠٠٥: ٢٠ امرأة.

أخيراً يمكننا القول إن المرأة قد حجزت مكانها بقوة وجدارة في الأمم المتحدة ومنظماتها العاملة، ومازال أمامها الكثير لكي تحصل على التمثيل العادل والمتساوي مع الرجل. لكن التسارع الذي شهدته العقود الأخيرة يجعل الأمل المعقود أقرب للتحقق، تمثيل يحيل إذا ما تحقق يوماً ما إلى فرض المرأة لمقاربتها في إدارة العالم وحل الأزمات التي ما برحت تعصف بالعالم الذي يقوده الرجال.

أكبر إبادة عرقية في التاريخ 2/2

الهنود الحمر دفعوا فاتورة الخرافات التوراتية الإسرائيلية
السبي البابلي قصة لا وجود لها خارج التوراة وأسفارها

مها مصطفى - القاهرة

السبي البابلي فكرة خرافية تضع فلسطين وأصولها الكنعانية في موضع الاتهام، وإبادة الهنود الحمر في أمريكا فكرة إسرائيلية حديثة تعيد نسج الحكاية والانتقام من الكنعانيين الجدد لتحقيق مملكة الرب الخرافية. كيف يمكن قراءة سفرين بينهما تاريخ طويل وجغرافيا متناثرة إلا إذا فهمنا العقل الانتقامي الذي يؤمن باختياره من قبل السماء، وأنه لذلك لا بد من التضحية بالآخرين؟

بينما روج المفكر الأمريكي الراحل صمويل هنتنجتون في آخر كتبه "من نحن" لفكرة أن الولايات المتحدة مجتمع من المهاجرين متعدد الأعراق والإثنيات والثقافات، ويرى أن الذين أعلنوا الاستقلال عن بريطانيا أواخر القرن الثامن عشر كانوا مجموعة متجانسة من المستوطنين البريطانيين البروتستانت، وأن هؤلاء هم الذين وضعوا مبادئ الثقافة الأنجلو- بروتستانتية القائمة على العرق الأبيض، والإثنية الإنجليزية والدين المسيحي في طبعته البروتستنتية والثقافة الإنجليزية. يقول العكش إن فكرة النقاء العرقي أو التلوث العرقي في الولايات المتحدة، وهي بالطبع فكرة عنصرية مستمدة من فكرة "الاختيار"، وليست من اختراع صمويل هنتنجتون، هذه الفكرة أبحرت إلى الولايات المتحدة في سفن الغزو الأولى، ورافقت مسيرة الإمبراطورية من جيمستاون إلى مانيلا، ومن مانيلا إلى فيتنام ثم جيكور. وهناك سجل لها في العهد الذي قطعه "الحجاج" من الله سنة ١٦٢٠ على متن سفينة ماي فلور.

ولربما كانت هذه الفكرة محوراً مركزياً في كتابات "البيوريتانس" مثلما هي محور مركزي في أدبيات الميليشيات العرقية وأبواق النزعة الإمبراطورية.

هناك الكثير ممن لا يزالون في أمريكا وبريطانيا يعيشون في عصر الماموث والديناصورات، ويعتقدون مثلاً أن العرش الإنجليزي هو عرش داود، وأن الإنجليز هم شعب الله، وأن الله نفسه كما كان يرى أوليفر كرومويل (رجل إنجليزي)، وهناك لدردفيلد كتاب بهذا العنوان، وكتاب "رجل الله الإنجليزي" لميكائيل سميث. أعجب من ذلك، هناك من يعتقد بأن الأنجلوسكسون هم الذين يحددون مسيرة القدر ويتحكمون بإرادة الله. وفي كتاب جوسيا سترونج "بلادنا Our Country" أعاجيب من هذا الجنون، فهو يؤكد الاعتقادات الشعبية بأن تصميم الله لمستقبل الإنسانية يعتمد كلياً على الأنجلوسكسون، وأن الله لكي يحقق ذلك أولى المهمة للفرع الأمريكي من الأنجلوسكسون، وأعطى أمريكا بذلك حق التصرف في مصير الإنسانية.

ويكشف العكش في كتابه قصة الخيانة الداخلية بين صفوف السكان الأصليين، والتي يقوم بها مكتب الشؤون الهندية، الذي لعب دوراً خطيراً في تزييف تاريخ الهنود الحمر، مشيراً إلى أن حكومة الولايات المتحدة عقدت مع القبائل والشعوب الهندية ٣٧١ معاهدة

لم تحترم واحدة منها. ثلث هذه المعاهدات كانت معاهدات "سلام" وقعها الهنود بروح طيبة ونوايا حسنة، بينما وقعها المستوطنون أو وقعتها الحكومة الأمريكية من بعدهم باعتبارها هدنة موقتة يتوثبون فيها لعدوان جديد. أما الثلثان الآخران من هذه المعاهدات فهي سجل احتيالي لنهب أراضي الهنود واقتلاعهم منها. في هذين الثلثين من المعاهدات تنازلت الشعوب الهندية عن حوالي مليار هكتار من الأراضي، ورضيت في النهاية بالعيش في منعزلات أو "محميات" قاحلة كان من المفترض أن يموتوا فيها ببطء.

أول معاهدة عقدتها حكومة الثورة كانت مع هنود الدولاوير في حدود عام ١٧٧٨. وفي هذه المعاهدة اعترفت حكومة الثورة بسيادة هنود الدولاوير على بلادهم التي هي اليوم ما بين بنسلفانيا ونيوجيرسي، لقاء دعمهم للثوار في حربهم ضد الإنجليز. ولمزيد من الإغراء، وربما لمزيد من السادية، دعتهم إلى إنشاء دولة باسمهم. وبالطبع لن تكون الدولة الفلسطينية التي تتحدث عنها الإدارة الأمريكية اليوم بأفضل منها.

أما المعاهدة الأولى التي عقدتها حكومة الولايات المتحدة مع الهنود فكانت مع الشيروكي، في هذه المعاهدة أيضاً، اعترف هنود الشيروكي بسيادة الولايات المتحدة على الأراضي التي استولى عليها المستوطنون، بينما اعترفت الولايات المتحدة بحدود بلاد الشيروكي (هي اليوم معظم ولاية جورجيا) وبسيادتهم عليها، لكن لم تمض ٥٠ سنة حتى طرد الشيروكي من بلادهم وسيقوا كالقطعان إلى ما وراء الميسيسيبي (أكثر من ألف ميل)، في تلك المسيرة التراجيدية التي مات معظمهم فيها والمعروفة باسم مسيرة الدموع Trail of Tears. وقد اخترعت الولايات المتحدة أدهى حكم استعماري عرفته البشرية، وأطلقت عليه اسم "مكتب الشؤون الهندية"، وهو عبارة عن (سلطة محلية هندية) وظيفتها الأساسية هي التدمير المنظم لحياة الهنود اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وروحياً، وتمكين الحكومة الأمريكية من نهب ثرواتهم وتجويعهم وتفريق كلمتهم بحيث يواجهون مصائرهم فرداً فرداً.

وفي كتابيه "الإبادات الجماعية" و"تلمود العم سام" يؤكد العكش أن عدد الهنود الحمر الذين تعرضوا للإبادة الجماعية على أيدي الغزاة الأمريكيين وصل إلى ١١٢ مليوناً و٤٠٠ ثقافة. ويورد شهادة حية كتبها برتولومي دو لاسكازاس الذي رافق موجات الغزو الأولى يتحدث فيها عن أرقام تفوق الخيال. من ذلك مثلاً أن الغزاة كانوا يشحنون الهنود في سفنهم لبيعهم لمستوطني الجزر البعيدة، وكانوا بالطبع لا يطعمونهم ولا يسقونهم، ويرمون الموتى منهم في البحر. إلى أن بلغ الأمر أن ربابنة السفن لم يعودوا بحاجة لاستخدام البوصلة للانتقال من جزيرة إلى جزيرة، بل كانوا يتبعون خط الجثث الطافية على وجه الماء.

وربما يتساءل البعض لماذا تسيطر الأفكار الإسرائيلية على خطاب الغزاة المؤسسين لأمريكا؟ وهنا تأتي الإجابة أن الأمر لا يقتصر على مجرد "السيطرة"، بل يتعدى ذلك إلى أن الغزاة الإنجليز أعادوا إنتاج الأسطورة "الإسرائيلية" كما نسجتها مخيلة العبرانيين الأوائل. وقد كانت هذه الأسطورة وما تزال تسكن "فكرة أمريكا" نفسها: فكرة احتلال أرض الغير واقتلاع أهلها منها واستبدال ثقافتهم وتاريخهم بثقافة الغازي تاريخه، وكانت هي الترجمة الإنجليزية، أو لنقل: الفهم الإنجليزي التطبيقي لفكرة "إسرائيل" التاريخية. وبالطبع لا يمكن للباحث التعامل مع فكرة "إسرائيل" التاريخية كظاهرة دينية لأنها بكل بساطة تفتقر إلى جوهر وأهم مقومات الظاهرة الدينية، وهي الأخلاق. فكرة "إسرائيل" التاريخية كما تعرضها كل الكلاسيكيات العبرانية هي مشروع استعماري إبادي، اتخذ طابع القداسة فأسقط بذلك كل لا أخلاقيته على السماء، ونسب جرائمه إلى إرادة الله. بهذا المعنى استُعير هذا المشروع من قبل غزاة أمريكا الذين أعادوا بعث أسطورته أنجلوسكسونياً، فتقمصوا أبطالها ووقائعها، وصنعوا منها فكرة أمريكا. هكذا صادروا لأنفسهم فكرة الاختيار الإلهي وعبادة الذات وحق تقرير حياة "الآخر" ورزقه وحريته. وهكذا سموا أنفسهم بكل الأسماء التي عرف بها اليهود تاريخياً، كما سموا العالم الجديد "إسرائيل" الجديدة وأرض كنعان.. إلخ، وكانوا يقتلون الهنود مرتاحي الضمير، باعتبار أنهم يقتلون الكنعانيين الذين أحلت الأساطير العبرية أرضهم ودمهم "للإسرائيليين".

الهجرة من الريف إلى المدينة والتحضر الزائف 2/2

إعداد جمانة علي

ليست الهجرة ظاهرة جديدة، فمنذ بدء الخليقة هجر البشر بيوتهم بحثاً عن ظروف معيشية أفضل، أو خوفاً من الاضطهاد. لكن خلال العقود القليلة الأخيرة، غيرت التكنولوجيا المعاصرة معالم هامة للهجرة، فقد سهل انخفاض تكلفة وسائل الاتصال وسرعتها (الهواتف الجوالة والثابتة وشبكة الإنترنت وغيرها) إنشاء شبكات عمل عابرة للحدود، مما ساعد على إبقاء التواصل بين المهاجرين وأسرهم في الوطن، وكذلك بين المهاجرين إلى مختلف البلدان (مجتمعات عابرة للحدود).

المقارنة بين الدول النامية والمتقدمة في الهجرة من الريف إلى المدن

*في الدول المتقدمة: بدأت موجات الهجرة من الريف إلى المدينة منتصف القرن الماضي. أما في الدول النامية فبدأت بعد الحرب العالمية الثانية.

*في الدول المتقدمة هناك هجرة من المدن الصغيرة إلى الكبيرة، أي من الحضر للحضر.

*ارتفاع نسبة الحضر لا يعبر عن مستوى المعيشة (هناك تحضر زائف).

*في المنطقة العربية، ينتشر الفقر بين الشباب في الريف، وخاصة المتزوجين حديثاً، كما تقل نسبة المتعلمين بينهم.

*تشير الدراسات أن أعلى نسبة من المهاجرين من أصحاب الحرف والفعلة والعتالين، وتقدر بنسبة ٣١% من المهاجرين، كذلك تشير الدراسات إلى ارتفاع نسبة البطالة والبطالة المقنعة بين المهاجرين، فيعملون بالحرف الهامشية مثل الباعة الجائلين.

الارتباط بين التنمية الريفية والهجرة:

دعا المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة "FAO"، جوزيه غرازيانو دا سيلفا، في المؤتمر الأوروبي المتوسطي المشترك حول الزراعة، والذي عقد في العام الماضي، للتركيز على الشباب والتضامن مع متطلباتهم واحتياجاتهم. ولإقامة مشاريع تنمية ريفية ومساعدة الشباب على إيجاد فرص عمل، لإعانتهم على مواصلة العيش في قراهم والاستقرار فيها، عوضاً عن التفكير في الهجرة.

وقال إن بلدان البحر الأبيض المتوسط إذا ما أرادت وقف موجة المد من الهجرة القسرية والمعاناة الإنسانية... فعليها أن تضع التنمية الزراعية، والغذائية، والريفية في صلب جهودها للتعاون الإقليمي.

وشدد "دا سيلفا" بينما كان يتحدث في المؤتمر الأورومتوسطي حول الزراعة، في مدينة باليرمو بإيطاليا، على العلاقة بين الزراعة والهجرة، وأهمية الاستثمار في سبل المعيشة الريفية المجزية، وبخاصة للشباب.

وقال: "إننا بحاجة إلى إيجاد بدائل ترفع الحوافز للشباب للانخراط في الأنشطة الريفية، مثل الزراعة والإنتاج الحيواني والثروة السمكية وتربية الأحياء المائية... في مجتمعاتهم المحلية وبلدانهم."

الفرص المتاحة لشباب الريف:

وقال "دا سيلفا" إن زيادة فرص الأعمال الزراعية والعمالة لشباب الريف يجب أن توضع في مركز استراتيجيات مكافحة الفقر وتعزيز التنمية، باعتبار أن شباب الريف هم مستقبل القطاع الزراعي، ولا سيما في البلدان الواقعة جنوب وشرق البحر الأبيض المتوسط.

وأوضح أن النزوح عن المناطق الريفية وهجرة الشباب خصوصاً، خلّفت وراءها هياكل مجتمعية مختلّة، وألقت بأعباء غير متناسبة على عاتق النساء اللواتي مكثن لرعاية الأطفال والمسنين.

ويرى "دا سيلفا" أن تهيئة فرص هادفة وشاملة للشباب في الزراعة والأعمال التجارية الزراعية لن تؤثر إيجابياً فحسب على حياتهم، بل وستحسن إلى حد كبير أيضاً سبل المعيشة في مجتمعاتهم الريفية وتعزز الاقتصادات، والمرونة التكيفية لبلدانهم وللإقليم والعالم ككل.

وأضاف أن ثمة حاجة قائمة للعناية، خصوصاً باعتبارات تغير المناخ والتدهور البيئي، وندرة الأراضي والمياه في غمار التعاون الإقليمي.

ضرورة التضامن:

وذكر المدير العام لمنظمة "FAO" أن "الهجرة القسرية هي النتيجة الطبيعية للخوف واليأس والجوع"، بالإشارة إلى الأزمة المتفاقمة في ظل تضاعف عدد المعابر الحدودية غير الرسمية إلى أوروبا، علماً أن ٨٥% منها يمر عبر البحر الأبيض المتوسط.

وإذ استذكر الغرق المأساوي لمركب مكتظ بالمهاجرين في العام الماضي قبالة جزيرة لامبيدوزا الإيطالية فيما أودى بحياة المئات، ردد "دا سيلفا" كلمة البابا مؤخراً، والتي أهاب فيها بالحيلولة دون أن يتحول البحر الأبيض المتوسط إلى مقبرة جماعية هائلة.

وأكد أن التصدي للهجرة الجماعية إنما يتطلب معالجة أسبابها الجذرية، بما في ذلك الحروب والصراعات العرقية والفقر المدقع، بينما حث على التعاون المستند إلى التضامن.

وقال: "إن الأبواب غالباً ما توصد في أوقات الأزمات، ولسوف يساعد التضامن على إعادة فتحها والعمل سوياً في خدمة التنمية الشاملة والمستدامة."

ثلاث مبادرات:

وأبرز المدير العام لمنظمة "FAO" ثلاث مبادرات إقليمية تشارك المنظمة من خلالها في تعزيز التعاون بين بلدان البحر الأبيض المتوسط. ففي حين توفر شبكة معلومات الأسواق الزراعية في البحر الأبيض المتوسط معلومات محسنة ومحدثة حول الأسعار والمخزون لأهم السلع، تباشر شبكة الصحة الحيوانية في حوض المتوسط، التي أنشئت من قبل منظمة "FAO" والمنظمة العالمية لصحة الحيوان "OIE" وتعمل مع ١٣ بلداً متوسطياً، بمكافحة الأمراض الحيوانية العابرة للحدود، وتعزز شبكة-FAO "CIHEAMللمجترات الصغيرة التعاون فيما بين الخبراء وصنّاع القرار ومنظمات المنتجين على صعيد حوض البحر الأبيض المتوسط.

وقال "دا سيلفا" إن التعاون لتعزيز الاستثمار في التنمية الريفية والفرص للشباب لن يعزز المرونة التكيفية للمجتمعات المحلية والمناطق الجغرافية في حوض المتوسط فحسب، بل "وإني على ثقة أيضاً أنه سيساعد على تجدّد روح التضامن في عصرنا الراهن."

هجرة سكان الريف

شهدت الخمسون سنة الماضية نزوح نحو ٨٠٠ مليون نسمة من المناطق الريفية إلى المدن. FAO). (2007ويمثل الضغط السكاني، وقِلة الأراضي، وانخفاض الإنتاجية الزراعية، وعدم توافر فرص العمل، أهم العوامل التي تؤثر على هجرة سكان الريف إلى الحضر، وهي دائماً ما تكون نتيجة لعملية معقدة من أجل اتخاذ القرار. والعوامل التي تتحكم في ذلك هي عادة عوامل "الضغط" و"الجذب". وفي بعض الحالات، يكون الدافع المحرك لذلك هو قِلة فرص العمل والكسب (وعموماً، معظم المهاجرين هم الذين يهاجرون من أجل العمل). وفي حالات أخرى، يكون الدافع المحرك للهجرة الحروب، والاضطرابات الاجتماعية، والاستبعاد أو الصراعات العِرقية وما يصاحب كل ذلك من أشكال العنف وانتهاك حقوق الإنسان أو تدهور البيئة الطبيعية، أو انخفاض خصوبة التربة، أو الأمراض المحصولية والحيوانية، أو قِلة سقوط الأمطار، أو حدوث فيضانات، أو الكوارث الطبيعية الأخرى التي تؤدي إلى تدمير سبل المعيشة.

أمل ومخاوف

تثير هجرة سكان الريف إلى الحضر الأمل كما تثير المخاوف. فالدخل الذي يقوم المهاجرون بإرساله على شكل تحويلات إلى ذويهم في الريف يمكن أن يزيد من الأمن الغذائي، ويساعد على تنويع سبل المعيشة، ويقلل من إمكانية تعرض السكان لمخاطر اقتصادية واجتماعية. ومع ذلك، فإن الهجرة تؤدي أيضاً إلى إعادة توزيع الأدوار بين العاملين من أفراد الأسرة المرتبطين بالأنشطة الإنتاجية في مناطقهم الأصلية، وتقلل من عدد العمال المشتغلين بإنتاج الأغذية وتزيد من أعباء العمل على الرجال والنساء، تبعاً للفئة التي تبقى في المناطق الريفية. ويستطيع المهاجرون تعزيز النمو الاقتصادي في المناطق التي يهاجرون إليها، بفضل زيادة أعداد القوى العاملة وزيادة أعداد المستهلكين، حتى وإن كانت المناطق التي يهاجر إليها أهالي الريف تعاني من ضغوط انعدام الأمن الغذائي نتيجة لتدفق المهاجرين. ومع ذلك، يمثل الحرص على عدم إضرار حركة النزوح بالتنمية المحلية، عندما يؤدي النزوح إلى زيادة عدد الأسر التي ترأسها النساء، وإحداث تحولات كبيرة في تكوين المجتمع الريفي من الناحية العمرية والجنس الاجتماعي، والتغيرات في ديناميكيات سوق العمل، تمثل هذه العوامل تحديات دائمة أمام البلدان التي ينتمي إليها العمال المهاجرون.

تأثير إيجابي:

ويمكن للعمال المهاجرين أن يحققوا أفضل مساهماتهم للبلدان التي تستضيفهم وبلدانهم الأصلية عندما يتمتعون بظروف عمل كريمة، وعندما تكون حقوقهم الأساسية والعمالية محل احترام. ويمكن أن يكون للسياسات الزراعية وسياسات الأمن الغذائي السليمة تأثير إيجابي ملموس على نتائج الهجرة عندما تؤدي إلى التشجيع على زيادة وتحسين فرص العمل في

المناطق الريفية (بفضل تنمية المشروعات، وشبكات الأمان المرتبطة بالعمل، والاستفادة من التكنولوجيات الزراعية المتقدمة)، وتحسين الفرص أمام المقيمين في الريف للاستفادة من التحويلات التي يتلقونها من ذويهم المهاجرين، وعن طريق الحد من بعض المخاطر المرتبطة بحركات النزوح عبر الحدود، على سبيل المثال عن طريق مكافحة انتشار الآفات المحصولية والأمراض الحيوانية.

ومن العناصر المهمة في عمل منظمة الأغذية والزراعة تشجيع السياسات والبرامج التي تساعد على تحسين ظروف المعيشة بالمناطق الريفية، والحد من الشعور بالضيق من جانب من يهاجرون إلى خارج بلادهم، وتحسين الظروف التي تجري في إطارها الهجرة الدولية.

وتتعامل منظمة العمل الدولية مع القضايا المتصلة بهجرة العمال منذ عام ١٩١٩، وقد أشرفت على إعداد الوثائق الدولية التي تنظم هجرة العمال وحماية العمال المهاجرين منذ ثلاثينيات القرن العشرين. وتحرص منظمة العمل الدولية حالياً على دمج المشكلات الخاصة بالهجرة في البرامج القُطرية الخاصة بالعمل اللائق وفي برامج التنمية القطرية عند اللزوم. كذلك تساعد منظمة العمل الدولية البلدان على بناء قدراتها للاستفادة من هجرة العمال وحماية حقوق العمال المهاجرين، استناداً إلى الإطار المتعدد الأبعاد لهجرة العمال الذي وضعته أخيراً.

عن خرائط المنطقة وانزياحاتها البشرية وهندسة مجتمعاتها بالدم

فراس يونس

في عهدة تفسير مادي للتاريخ، غالباً ما يتوصل للاستنتاج العلمي إلى أن تاريخ البشرية لم يكن إلا تاريخ صراع طبقات وتناقض مصالح، على صعيد المجتمع وعلى صعيد الصراع بين الأمم والجماعات القومية. لكن، وفي نفس المستوى من الأهمية، فإن هذا التاريخ كان تاريخاً للانزياحات البشرية من أماكنها التاريخية والجغرافية، هذه السمة الجوهرية كانت سمة العالم القديم، كما كانت سمات العصور الحديثة على حد سواء، بحثاً عن مصادر الثروة المادية والمعنوية التي لا تقل أهمية عن الأولى في عملية نزاع دائم، هذه النزاعات غيرت في الإنسانية على أية حال، في عمليات تغذية متبادلة فيما بينهما. من هنا توارت الأسباب الحقيقية لمنازعات العالم القديم، التي غالباً ما كانت تتلطى وراء صراعات دينية وإيديولوجية .

انزياحات وتبدل العوالم

هذا ما يؤكده أرنولد توينبي في إنجازه الأهم "تاريخ البشرية". إذ على إثر كل هجوم عنيف قامت به شعوب "همجية" نسبياً، أدت هذه الاضطرابات إلى تنقلات سكانية هامة، وحتى المهاجمون الذين كانوا قد رُدوا على أعقابهم، انتهى بهم المطاف إلى الاستيلاء (عن طريق التسلل السلمي) على الأرض التي فشلوا في الحصول عليها بقوة السلاح، وترتب على ذلك في النهاية تبدل واسع النطاق في خارطة المدنيات الإقليمية القديمة للعالم القديم، فقد أضعف هذا الأمر المدنيات الأقدم منها، ودمرت مدنيات جديدة، كما ظهرت مدنيات جديدة في الصدوع الجغرافية التي تفتقت عنها الأنقاض.. وكان لانزياح الشعوب هذا أثر ثوري في استعادة توزع جغرافية العالم القديم.

كارثة سوريا الجديدة كما نشهد تتابع فصولها الآن، سبقتها نكبات في أزمنة متفاوتة في القدم، ولعل عملية الإفراغ السكاني كانت ضرباً من ضروب استراتجية المتنازعين، تمهيداً لخلق وقائع جديدة على الأرض بمنطق الغلبة والشوكة. ليس المقصود بسوريا جغرافيتها الحالية وحسب، لأنها كانت تضم في جنباتها لبنان الحالي وفلسطين وشرق الأردن. هذه "السوريا" نكبت بسبب انزياح الشعوب نحو ١٢٥٠، ٩٥٠ ق.م بنفس القسوة التي نكبت بها آسية الصغرى وحوض البحر الإيجي، من حيث الدمار المادي والتبديل في تركيب السكان، وعلى كلٍ فقد عادت الحياة إلى سوريا من الخراب المشترك الذي ألمَّ بالجميع، إذ كانت المدنية قد ضربت جذوراً أعمق فيها قبل أن يصيبها انزياح الشعوب. يفسر أرنولد توينبي الأمر بأن كلتا المدنيتين السومرية – الأكادية والمصرية كان قد مرَّ عليهما قرابة ألفي سنة وهما تتسربان إلى سوريا، وكانت هاتان المدنيتان المجاورتان متغلبتين إلى حد أنهما لم تُمَكِّنا سوريا من خلق مدنية أصيلة خاصة بها، حتى فقدت كل من مصر وبلاد بابل الكثير من الحيوية. إلا أن سوريا كانت حتى قبل الثوران الذي عمّ المشرق نحو ١٢٥٠ ق.م قد بدأت تظهر قدرتها "الوطنية" على الخلق، وخطت خطواتها الأولى لاختراع الأبجدية التي أصبحت الآن بأشكالها المختلفة كتابة العالم بأكمله باستثناء شرق آسيا. وهكذا فإن إحدى الصفات المشتركة للمدنية التي ظهرت في بلاد الشام بعد هجرة وانزياح الشعوب نحو ١٢٥٠، ٩٥٠ ق.م كانت استعمال الألفباء لكتابة اللغات السامية المحلية، وأصبح المهاجرون البدو والرعاة زراعاً بسرعة حين استقروا في الأرض السورية.

كانت بلاد الشام مقسومة سياسياً بين عدد من الإمارات الصغيرة عندما انضمت إلى الإمبراطورية المصرية في القرن الخامس عشر ق.م، وكان أول أثر لانزياح الشعوب في تلك المرحلة هو حلُ هذا التضامن السياسي الشكلي الذي وجد تحت حكم الإمبراطورية المصرية. وبعد زوال السيطرة المصرية وحلول الحثيين في سوريا، عادت بلاد الشام إلى تمزق

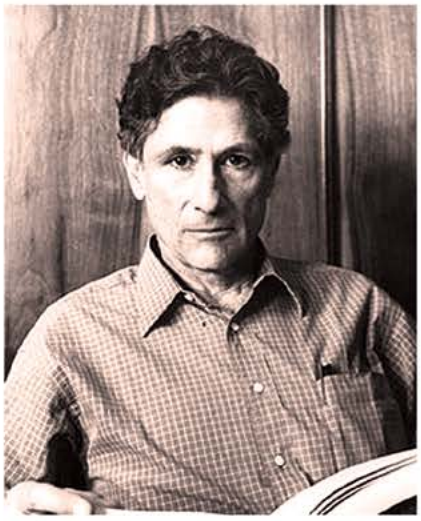

سياسي بحيث تجاوز الانقسام الذي كان سائداً في العهد السابق لأيام الفاتح المصري "تحوتمس الثالث". أنشأ اللاجئون الحثيون عدداً من الإمارات المحلية المستقلة في ظل تنازع دائم فيما بينها، وهكذا فإن المدنية السورية بدأت مسيرتها المدنية في حالة تمزق سياسي، وبعدما أخذت الشعوب المهاجرة بالاستقرار، قامت في القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد محاولتان متتاليتان من الجنوب لتوحيد بلاد الشام سياسياً، لكن المحاولتين باءتا بالفشل.

عبقرية المكان بين الوهم والحقيقة

ما من مكان استثنائي في العالم، كل العوالم استثنائية. ربما كان لمنطقتنا بعض الخصوصية، ليس بسبب موقعها الجغرافي، ولو جزئياً، إذ تقع في نقطة تقاطع ليس بين الأديان فحسب، بل وبين الثقافات. هنا

تقاطعت ثقافات الشرق والغرب، الهيلينية والإغريقية والأرمنية والسورية والشرقية، وكذلك الأوربية والمسيحية والأفريقية والفينيقية، فضلاً عن قدرة هذه المنطقة على إنتاج ميراث معنوي كان له رنينه عبر الأزمنة وتأثير إشعاعه، تلك المنطقة التي أعطت الشياطين والقديسين والآلهة لآلاف من السنين كما كتب المفكر الراحل إدوارد سعيد. في حروبها المضنية وتمسك أقوامها بالأرض، حيث الزراعة في عمقها التاريخي في منطقتنا، كانت نشاطاً دينياً بقدر ما كانت نشاطاً اقتصادياً، فالغاية الرئيسية للديانة الزراعية هي أن ترعى خصب النباتات والحيوانات المدجنة، ومثلها خصب الكائنات البشرية التي كانت تحصل على قوتها بالعيش في تكامل مع أصناف الحيوات الأخرى تلك. لا تزال المنطقة وبشرها المعاصرون يواجهون عبث الخرائط التي يعاد رسمها خارج إرادتهم وهندسة مجتمعاتها بالدم.

لا سلام لشعوب منطقتنا إلا في الديمقراطية وإرادة العيش معاً، والتحرر من كل شرور الظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، أساس أي استقرار إنساني، وعودة المهجرين إلى مواطنهم وأعمالهم ومرابع طفولتهم، في قلب منطقة هي الأكثر اضطراباً في العالم، وقد أدمنت طواقم حكامها وأسيادهم خلف البحار الحروب والإفراغ السكاني وهوس الخلود العبثي.

اتفاقية حقوق الطفل **الجزء السادس**

المادة ٢٢

تتخذ الدول الأطراف في هذه الاتفاقية التدابير الملائمة لتكفل للطفل الذي يسعى للحصول على مركز لاجئ، أو الذي يعتبر لاجئا وفقا للقوانين والإجراءات الدولية أو المحلية المعمول بها، سواء صحبه أو لم يصحبه والداه أو أي شخص آخر، تلقى الحماية والمساعدة الإنسانية المناسبتين في التمتع بالحقوق المنطبقة الموضحة في هذه الاتفاقية وفي غيرها من الصكوك الدولية الإنسانية أو المتعلقة بحقوق الإنسان التي تكون الدول المذكورة أطرافا فيها.

ولهذا الغرض، توفر الدول الأطراف، حسب ما تراه مناسبا، التعاون في أي جهود تبذلها الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الحكومية الدولية المختصة أو المنظمات غير الحكومية المتعاونة مع الأمم المتحدة، لحماية طفل كهذا ومساعدته، وللبحث عن والدي طفل لاجئ لا يصحبه أحد أو عن أي أفراد آخرين من أسرته، من أجل الحصول على المعلومات اللازمة لجمع شمل أسرته، وفي الحالات التي يتعذر فيها العثور على الوالدين أو الأفراد الآخرين لأسرته، يمنح الطفل ذات الحماية الممنوحة لأي طفل آخر محروم بصفة دائمة أو مؤقته من بيئته العائلية لأي سبب، كما هو موضح في هذه الاتفاقية.

المادة ٢٣

تعترف الدول الأطراف بوجوب تمتع الطفل المعوق عقليا أو جسديا بحياة كاملة وكريمة، في ظروف تكفل له كرامته وتعزز اعتماده على النفس وتيسر مشاركته الفعلية في المجتمع.

تعترف الدول الأطراف بحق الطفل المعوق في التمتع برعاية خاصة وتشجع وتكفل للطفل المؤهل لذلك وللمسؤولين عن رعايته، رهنا بتوفر الموارد، تقديم المساعدة التي يقدم عنها طلب، والتي تتلاءم مع حالة الطفل وظروف والديه أو غيرهما ممن يرعونه.

إدراكا للاحتياجات الخاصة للطفل المعوق، توفر المساعدة المقدمة وفقا للفقرة ٢ من هذه ** المادة مجانا كلما أمكن ذلك، مع مراعاة الموارد المالية للوالدين أو غيرهما ممن يقومون برعاية الطفل، وينبغي أن تهدف إلى ضمان إمكانية حصول الطفل المعوق فعلا على التعليم والتدريب، وخدمات الرعاية الصحية، وخدمات إعادة التأهيل، والإعداد لممارسة عمل، والفرص الترفيهية وتلقيه ذلك بصورة تؤدى إلى تحقيق الاندماج الاجتماعي للطفل ونموه الفردي، بما في ذلك نموه الثقافي والروحي، على أكمل وجه ممكن.

على الدول الأطراف أن تشجع، بروح التعاون الدولي، تبادل المعلومات المناسبة في ميدان الرعاية الصحية الوقائية والعلاج الطبي والنفسي والوظيفي للأطفال المعوقين، بما في ذلك نشر المعلومات المتعلقة بمناهج إعادة التأهيل والخدمات المهنية وإمكانية الوصول إليها، وذلك بغية تمكين الدول الأطراف من تحسين قدراتها ومهاراتها وتوسيع خبرتها في هذه المجالات، وتراعى بصفة خاصة، في هذا الصدد، احتياجات البلدان النامية.

مخيمات مؤقتة مخيمات دائمة تحت إسم بلاد

سوريا وخدعة أوطان أخرى

عباس علي موسى

دعونا بداية نراجع تقرير المفوضية العليا لشؤون اللاجئين الصادر بتاريخ ٢٠١٥/٧/٩، والذي ورد فيه: "تجاوز عدد اللاجئين السوريين في الدول المجاورة ٤ ملايين لاجئ، وسيصل إلى ٤,٢٧ مليون لاجئ مع نهاية عام ٢٠١٥، حسبما كشفت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، إلى جانب ٧,٦ مليون سوري نازحين داخل سوريا".

هل تعتبر هذه الإحصاءات طبيعية، إذا كان العدد الإجمالي فيها يعادل نصف سكان سوريا تقريباً، والتهديد مستمر؟ ثم هل نستطيع بالفعل التعامل مع هذه الأرقام وكأنّها قابلة للزيادة، ثم نغض طرفنا عن كل شيء؟

لم يستطع النظام في سوريا طيلة عقود أن يغرس في قلوب شعبه مفهوم الوطنية، أو ذلك الشعور بالاعتزاز لمجرد كون الواحد منا سورياً، ولم يبذل أي جهد لمجرد المحاولة، بل على العكس عمل على كسر كل ما يمت إلى مفهوم الأرض بصلة، فالمركزية التي اتبعها في ربط الإنسان السوري بالمدن الكبرى كدمشق وحلب، حيثُ التجمعات الكبرى، وبالتالي سيطرته الأمنية عليها وتوجيهها لتكون قلعة الممانعة الكاذبة ضدّ طواحين الهواء، هذه المركزية كانت إحدى الطرق لتفكيك ارتباط الإنسان بالأرض، في ظلّ غياب مشاريع حقيقية في الثقافة والحياة.

إنّ النزوح في سوريا ليس بطارئ، فالمراقب للشأن السوري يعرف ما الذي فعلته سياسات النظام من تغيير في تركيبة المدن السورية، حيثُ غدت أطراف مدينتي دمشق وحلب مرتعاً للباحثين عن العمل بسبب السياسة المركزية المتبعة في البلاد، والتي لم تحاول النهوض بالمدن الصغيرة، بل ساهمت أكثر في إفقارها، وإفقار ذويها للهروب منها. لكن وبعد أربعة أعوام من الحدث السوري، والثورة السورية في وجه النظام، ترعبكَ الأرقام كما ترعبك التقارير، فالرقم الوارد أعلاه يضمّ في ثناياه أضعافه من القصص والحكايا، والمآسي التي سيحملها السوريون لعقود طويلة، تذكرة إلى الآتي من الأيام.

كلّ اللاجئين جاؤوا على عجل هرباً من الموت، بما تيسّر عليهم من ثياب، وقليل مما خفّ حمله في أحسن الأحوال، وأحياناً لم يستطع بعضهم حمل حذائه حتى. كلّهم نصب خيمة وجلس فيها على أمل العود القريب، كلّهم حمل في قلبه فكرة مؤقتة عن المكوث في بلاد الآخرين، لذا اكتفى من المخيّمات بحبل غسيل ومتابعة للأخبار العابرة من الحدود.

هذا الهروب العجول لم يترك فرصة للاندماج في المجتمعات المضيفة، خاصة إذا ما كان اللاجؤون أنفسهم يتقاسمون الأجواء ذاتها، والأحاديث ذاتها عما يجري في الداخل. ومع أنّ الكثيرين استطاعوا النزول إلى داخل المدن في تلك الدول (تركيا، الأردن، لبنان، إقليم كردستان، مصر...)، مع ذلك يبقى الاندماج مع الواقع صعباً للغاية، لأنّ الظروف التي دفعت بهم إلى اللجوء والطريقة التي خرجوا بها، تركت في أنفسهم الإحساس بالغبن وبخسارة الوطن والبلاد برمتها. فمشهد التدمير اليومي بالبراميل المتفجرة، يكرّس في مخيلة السوري فكرة

الدمار بشكل دائم. إنّه العش الهشّ الذي تذروه الرياح، وتنال منه كلّ حرائق الأرض.

مفاتيح العودة

كلّ خارج من هذه الجغرافيا لابدّ أنّه مرتبط بشيء/ أشياء عميقة، كجزء من الطبيعة الإنسانية، عدا عن الإحساس العميق لدى البعض الآخر بالبلاد كفكرة. بإمكاننا الحديث إذن عن النزوح واللجوء كجواز سفر مؤقت، بتوقيت مفتوح، يعمّق التشظي والإحساس بالخذلان في الجغرافيا الأخرى/ البديلة.

يحملُ معظمهم في خاطره مفتاح عودته إلى البلاد، لكن ماذا عن الدمار، والخرائب، وذاكرة الرصاص والبارود، الصواريخ والبراميل المتفجرة؟ ماذا عن كلّ هذه التفاصيل التي تحرق حساسية الإنسان حيال كل شيء؟ لقد عمد النظام إذن إلى تدمير العش، تدمير المكان والألفة، لقد ساهم وعمّق في حفر الهوة بين الذات والمكان.

إنّ علاقة الإنسان بالمكان، وبخاصة مكان الولادة الأولى، تفاصيل المكان، الطفولة، الشباب، ومن ثم المراحل المتلاحقة، باتت مهددة، أو أنّها هددت وانقضى الأمر. كان ذلك جزءاً آخر من الحرب، أو الجزء الأهمّ منها، وهو كسر العلاقة بين الإنسان السوريّ

والمكان. في بلاد الآخرين يبحثُ اللاجؤون عن بدائل لحياة جديدة/ مؤقتة، ما بين المخيمات التي تحمل ثيمة المؤقتية، والمدن التي تحمل ثيمة الاغتراب، فيدخل الصراع ما بين المقارنات بين مدن الآخرين ومدينة اللاجئ، بين حياته وحياتهم، يقضي معظم يومه في المقارنات، دون أن يستطيع الاندماج بشكل كبير مع المجتمع الجديد.

لكن من سيبني ذاكرة جديدة لكلّ أولئك، أقرب إلى النصف من سوريا المنقسمة على حرب في الداخل ومخيمات وأوطان متنقلة في الخارج، وقد باتت الجغرافيا كطائرة ورقية يحملها كلّ صوب رياحه!

المخيمات في عدسة الكاميرا، نشاطات بديلة في المخيمات تكثر الكاميرات الراصدة للتمزّق الجنيني ما بين هؤلاء اللاجئين والجغرافيا، كاميرات ترصد الحياة اليومية، حيث حبال الغسيل، "بيدونات" الماء، والأوعية البلاستيكية. وترصد الأوحال والأحذية الغارقة فيها، أو ترصد لهيب الصيف وهو ينال من وجوه الأطفال والنساء والعجائز.

في المخيمات تقوم المنظمات والناشطون بنشاطات مختلفة، لتخفيف آثار الصدمة على اللاجئين، نشاطات متعددة تصنع بدائل عن الشعور بالخذلان من كل شيء، تصنع بديلا لكن من ورق، لن يستطيع المقاومة طويلاً أمام أمطار الشتاء القادم، حيث لا شيء يلوح في الأفق لعودة طال انتظارها.

لجوء آخر

لقد قام النظام بتدمير الجزء الأهم من المكان الأمّ، ألا وهو الملامح، ملامح الأمكنة التي نالت منها الطائرات والصواريخ، فشوهّتها، وباتت تشبه أطلالاً لا تسعف الذاكرة بصورة ما كان جميلاً منها، نظراً لكمية التشويه الكبيرة التي نالت منها. هذا التعمّد خرّب جزءاً كبيراً من نفسية الإنسان الخارج من البلاد، فبات الهروب من كل شيء هو الحلّ.

يقوم الكثيرون بعد طول انتظار بالذهاب إلى أوربا كمحطة أخرى وأمنية باستقرار وإن مؤقتاً، تلك البلاد التي يجدون صعوبة كبرى في الاندماج فيها، بدءاً من اللغة، ثمّ الفارق القيمي في كلّ المفاهيم والقيم حتى الإنسانية منها، وربما انتهاء باللغة التي لن يتقنوها إلا مكسّرة ومهشّمة كعبورهم ذاته.

في تلك البلاد التي تجمع ما تبقّى من العائلة عبر ما يسمى بلمّ الشمل، هذه العائلات التي تركت بيوتاً كانت تجمعها، كيف ستجمع كلاً منها بلاد أخرى في بيت لن يجدوا فيه الدفء أبداً!

تغدو مخيمات اللجوء منازل مؤقتة، حتى وإن كانت أوتادها المغروسة في الأرض عصية على الريح، حتى وإن بنوا عوضاً عنها حجراً وإسمنتاً. هذه هي الحقيقة على المستوى النفسي على الأقل، وستحمله أي امرأة في داخلها، ولن يتخلّص من هذا الإحساس أولئك الأبناء الذين سيأتون، أو الذين جاؤوا بالفعل. سنحتاج جيلين على أقلّ تقدير، للتخلّص من الإحساس المؤقت، من الإحساس بالوتد المغروس في بطن أمه وساعدي والده.

إنّ الإحساس بالمكان مدمراً سيحمل في طياته الخراب أبداً، لذا من المهمّ بناء ذاكرة جديدة، ذاكرة غير ورقية، ذاكرة عالية كالسنديان، ليستظلّ بها العائدون وإن بعد حين.

كارلوس منعم

مهاجر سوري رئيساً للأرجنتين

سامح يوسف

لم تكن أحلام شاؤول منعم وزوجته مهيبة عقيل في أقصى طموحاتها تتخيل ما سيصل إليه ابنهما كارلوس في بلدهما الجديد، هما النازحان من واقع بلدهما الأم سوريا الاقتصادي المنهك في أوائل القرن العشرين، في طقس اعتاد أبناء يبرود خصوصاً والقلمون عموماً على ممارسته في تلك الفترة. وعلى الرغم من نجاحه في امتلاك متجر بيع بالتجزئة، بعد أن كان بائعاً جوالاً، لم يعش شاؤول طويلاً ليرى نجاحات ابنه المتتالية في الحياة، فيما شهدت والدته وصوله لمنصب حاكم الولاية عام ١٩٧٣ قبل أن تتوفى عام ١٩٧٧.

لم يهاجر كارلوس بنفسه من سوريا، لكنه تربى في بيت مهاجرين جديدين، وعاش كل تفاصيل حياة المهاجرين الجدد الذين لم ينفصلوا وجدانياً ولا حياتياً عن وطنهم الأم، لكنه سرعان ما مارس حياة المواطن الأرجنتيني بكل تفاصيلها الاجتماعية والسياسية.

نشأته ودخوله معترك السياسة

ولد كارلوس في الثاني من تموز/يوليو عام ١٩٣٠، في قرية أرجنتينية صغيرة تدعى أنيلّاكو (Anillaco) في مقاطعة لاريوخا (La Rioja) شمال غربي البلاد. تعرف عائلتا منعم وعقيل في يبرود بأنهما من العائلات التي اشتغل كثير من أبنائها في السياسة وطلب العلم، سواء في الوطن الأم أو في المهجر، ولم يحد درب أبناء شاؤول عن ذلك، فدخل كارلوس معترك السياسة أثناء دراسته القانون في جامعة قرطبة الوطنية، وانتمى لحزب العدالة أو ما يعرف بالحركة البيرونية (نسبة إلى خوان بيرون) عام ١٩٥٦، ثم اعتقل لمدة قصيرة عام ١٩٥٧ على خلفية مشاركته في الاحتجاجات المناهضة لنظام "بيدرو أرامبورو" المطالِبة بإطلاق السجناء السياسيين وإعادة "خوان بيرون" إلى الحكم.

حصل كارلوس على شهادة في القانون عام ١٩٥٨، ليمارس بعدها المحاماة في مدينة لاريوخا بصفة خاصة، لكن السياسة لم تبتعد عن باله يوماً، فعمل في نفس الفترة مستشاراً قانونياً لمجموعة نقابية للتجارة ذات توجه سياسي "بيروني"، بعدها دخل عالم السياسة الأرجنتينية من بابها الواسع حين شغل منصب حاكم ولاية لاريوخا بين عامي ١٩٧٣ – ١٩٧٦، حيث تم إنهاء مهمته من قبل العسكريين الذين سيطروا على البلاد وأطاحوا بحكومة "إيزابيل بيرون"، وبقي منعم قيد الإقامة الجبرية في منزله حتى عام ١٩٨١، ومن ثم عاد ليشغل منصب الحاكم بين عامي ١٩٨٣ - ١٩٨٩.

ابن المهاجر رئيساً

كان العام ١٩٨٩ علامة فارقة في حياة منعم السياسية حين انتخب رئيساً للجمهورية في فترة عصفت فيها أكبر أزمة اقتصادية في تاريخ البلاد، حاول منعم التعامل مع الأزمة الاقتصادية بذكاء، واضطر بضغط من التضخم الهائل إلى التخلي عن العقيدة الحزبية لصالح سياسات السوق الموجهة، واستطاع بمساعدة العديد من أعضاء

البرلمان من غير البيرونيين تهدئة الاقتصاد. وحصل نتيجة ذلك على شعبية وطنية كبيرة وصورة براقة في أعين الكثير من أفراد الشعب، على الرغم الانتقادات اللاذعة للأحكام القضائية المتسأهلة التي صدرت في عهده تجاه انقلابيي الفترة من ١٩٧٦ وحتى ١٩٨٣. عقد منعم اتفاقاً شهيراً في العام ١٩٩٤ مع أكبر الأحزاب المعارضة في مجلس الشيوخ، سُمح له بموجبه بتعديل دستور عام ١٨٥٣، ليسمح بإعادة انتخابه في العام ١٩٩٥ لفترة رئاسية إضافية، مقابل تقليص صلاحيات رئيس الجمهورية التنفيذية على بعض مؤسسات الحكومة وخفض ولايته إلى أربع سنوات. كانت زيارته للمملكة المتحدة عام ١٩٩٨ بداية صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين بعد حرب جزر الفولكلاند عام ١٩٨٢، كما سوت حكومته مشكلة ترسيم الحدود مع تشيلي.

ارتبطت ولاية منعم الثانية بتهم الفساد الداخلي في الحزب البيروني (حزب العدالة)، وفي العام ٢٠٠١ وُضع منعم تحت الإقامة الجبرية في منزله، على خلفية تهم تتعلق بتهريب دفعات من السلاح أوائل التسعينيات إلى الإكوادور وكرواتيا، برغم الحظر المفروض من قبل الأمم المتحدة، ثم أطلق سراحه بعد خمسة أشهر من ذلك. وكان منعم قد أقر بتوقيع موافقات على إرسال ٦٥٠٠ طن من الأسلحة إلى بنما

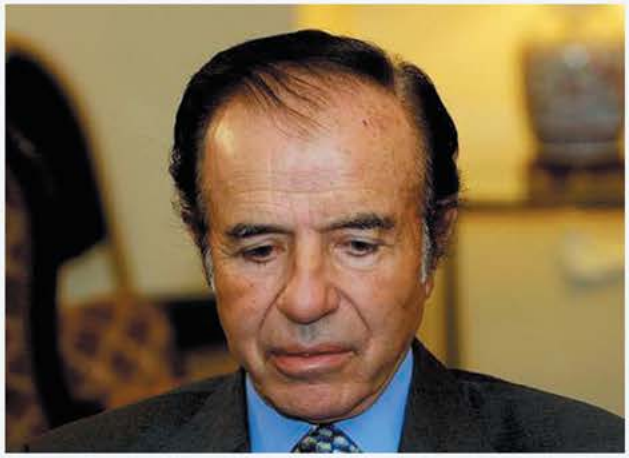

وفنزويلا، وأنكر معرفته بأنها ستنتهي في مكان آخر. وفي العام ٢٠٠٣ ترشح للانتخابات مرة أخرى وتقدم الجولة الأولى على حساب مرشح آخر لحزب العدالة هو "نستور كريشنر"، وانسحب من الانتخابات في الجولة الثانية تحت ضغط جمهور الحزب ليفوز "كريشنر" تلقائياً. انتخب منعم في العام ٢٠٠٥ مرة جديدة سيناتوراً في مجلس الشيوخ عن ولايته لاريوخا، وهو يمثلها في المجلس حتى اليوم. عادت تهمة تهريب السلاح لتلاحقه في العام ٢٠٠١، لكن حصانته النيابية منعت محاكمته، وعادت المحكمة لتنظر في القضية عام ٢٠٠٨ لتخلص بعد ثلاث سنوات إلى براءته. ثم عادت محكمة الاستئناف في ٢٠١٣/٦/١٣ لتحكم عليه بالسجن سبع سنوات في نفس القضية، وخمس سنوات ونصف بحق وزير دفاع منعم وهو "أوسكار كاميليون". وفي العام ٢٠٠٩ وجه قاض فيدرالي التهم لمنعم بعرقلة العدالة والتحقيق في قضية الهجوم على المركز اليهودي في بيونس آيرس عام ١٩٩٤، حيث يتهم القضاء منعم بإخفاء الأدلة وتوجيه مجرى التحقيق بعيداً عن وطنه الأم سوريا، بعد تفجير المجمع الذي كان يضم كبرى المؤسسات اليهودية في الأرجنتين. وينتظر أن يمثل منعم أمام القضاء في السادس من آب/أغسطس الحالي، ويحتاج تنفيذ الحكم السابق أو الذي يمكن أن يصدر بحقه إلى رفع الحصانة النيابية عنه، الأمر الذي يبدو مستبعداً خلال الولاية الثانية للرئيسة الحالية "كريستينا فرناندز كريشنر" زميلة منعم في الحزب وزوجة الرئيس السابق "نستور كريشنر."

عائلته الصغيرة

تزوج كارلوس منعم مرتين الأولى عام ١٩٦٦ من السيدة "سليمة فاطمة جمعة"، وهي سورية أرجنتينية التقى فيها قبل عامين من زواجهما خلال زيارة لسوريا، وأنجب منها "شاؤول كارلوس منعم" (كارليتو الذي قتل في تحطم مروحية العام ١٩٩٥)، و"إيفا منعم" التي لعبت دور السيدة الأولى بعد انفصال والديها في العام ١٩٩١ وحتى نهاية فترة والدها الرئاسية الثانية في العام ١٩٩٩. ثم تزوج في العام ٢٠٠١ من ملكة جمال الكون لعام ١٩٨٦ التشيلية "سيسيليا بولوكو" والتي تصغره بخمسة وثلاثين عاماً تقريباً.

وصل كارلوس منعم إذاً لأعلى المناصب في المهجر الذي اختاره أبواه، وخاض الحياة الاجتماعية والسياسية بكل غمارها كأي مواطن أرجنتيني من أصول أرجنتينية، حتى أنه اعتنق المسيحية ليتمكن من تقلد منصب الرئاسة، إذ يمنع ذلك على غير المسيحي بحسب القانون الأرجنتيني. لكن سوريا بلده الأم كانت حاضرة دوماً في زوايا حياته وزواجه الأول وأسماء أولاده وزياراته المتكررة لسوريا، ولربما أشهرهما اللتين يذكرهما أبناء جيلي عامي ١٩٩٢ و١٩٩٤ ولقاءاته مع حافظ الأسد، والود الذي بدا أنه يجمعهما، وحتى التهم الأخيرة الموجهة إليه والتي ربما لن ينجو منها هذه المرة.

سوريات على خيط الأمل

خالد زياد

تركته هناك..

-هو الذي خرج فيما صار بعد ذلك "المرة الأخيرة"... كان قبل خروجه الأخير يلهو ببعض ألغام الأمل على مرمى من بساتين الوطن، وقاتلٌ باسمه لم يمنحه فرصة ليقول له (أنا وأنت اثنان في الهوية ربما.. لكننا واحد في الوطن).

بين كان وصار في ملهاة الماضي الذي طالما جاء غداً، ساخراً من المستقبل المستعصي على الحضور حتى اللحظة، تستمر هزلية الحاضر الكامن في رصاصة.

-هي التي كانت كل يوم تنقط حضوره الشاهق، وتخشى في أي لحظة غيابه المدوي.. تدرك جيداً أنه ملكها فقط لحظة تشتم أنفاسه حياً.. وكل ما سوى ذلك مسجل في قيود القضية. لم تك تحلم بأكثر من ساعة أخرى تقضيها جواره، تحدثه عن أحلامها البسيطة ببعض وسائل الرفاهية المنزلية، والابتسامة تزين ملامحها، على الأقل تعرف أنها بذلك تغتال يقينها بغيابه، بما استطاعت من أسلحة الأمومة.

-هو الذي استفاق دائماً فجراً.. ينسل خلف صلاتها، يترك قبلة على وسادتها ويمضي خفيفاً كما الشهداء.. شقياً كما الأنبياء.. يدخل ملعب أحلامه السرية، يختار اسماً حركياً لسمفونية الرحيل... سار على السياج بين ذاكرتين، لم يكن محظوظاً كالأنبياء لينجو.. ولا تعيساً بما يكفي ليفقد الذاكرة فتقوده دروب التيه إلى حضن أمه على سرير من تعب.

-هي التي تخبز كل يوم رغيفه على لهيب الشغف وهديل الحنين.. تمني النفس بأنها ستراه اليوم حتماً.. قال لها بأنه عائد وما كذب يوماً... تفتش بين أشيائه عما يبوح لها بذاك الغامض في عينيه، فلا تجد سوى الضباب.. تختار السراب.. فهي تعرف أكثر من غيرها أنها بالسراب وحده تمكنت من الصمود كل هذا الوقت في وجه سذاجة الواقع.. تنتظر على رصيف القلب سراباً صار اسمه "هو..."

-هو كان يبحث عن وداع خفيف مجرد من ملح الدموع... في ذلك اليوم أمسك مسلة الغدر، أفلت من قيود الإخلاص تاركاً خلفه آلهة الوفاء تغفو على خذلانها.. أشعل حرائق الفقدان وغاب.. سلم مقود الحلم لسائق القدر واكتفى بدور الراكب.. صعد قطار الاحتمالات.. محطة للحب.. ماغادر موقعه... محطة للنسيان.. أشاح بابتسامته للماضي فقط... محطة للخذلان.. يدرك أنه تجاوزها منذ حلم..

غادر الركاب ليبقى هو والسائق وحدهما في رحلة نحو المحطة الأخيرة..

-هي التي استفاقت تبحث عنه.. وجدت وسادتها خالية من قبلته.. تمترست خلف الأمل... باشرت أشغالها اليومية.. أوقدت فرن انتظارها... خبزت خوفها وأعدت فطوراً لمن امتطى جواد الغياب ولم يترك لها عنوان المحطة... على قلبها تمشي نحو اليقين الذي كثيراً ما تمنت لو أنه اغتيل بصورته، يبدو آتياً على عشب الحقل يحدثها عن مغامرة عشقية... تمنّته على أي صورة إلا شهيداً...

على عكاز التاريخ استندت... وقلبها في مهب الريح.. صوب حدود الله صرخت.. أتاها الرفاق به ممداً.. مضرجاً بأحلامه.. خاوياً من الأوهام، والحقيقة دائماً موجعة..

مرت عليه كما يمر عاشق على جسد الحبيبة.. تفقدت كل تفاصيله ودفنت قلبها في مقبرة الخسران... إنه هو، لن تخطئه الآن في غيابه الشاهق ولن تخطئه على أكف الرفاق... هو الذي ودعته آخر مرة، تدرك بأن الذي كان قبيل جنازة وحلم وليدها.. بات الآن وليد الشمس تركته هناك...

-هي... ليست بطلة روائية أبدعها خيال الراوي، بل لحظة إنسانية حية تحمل كل معاني الحقيقة الصادمة، والقصة ليست اختباراً أدبياً تقارع الحكاية من خلاله مفردات الواقع اللغوية التي ترصد الحدث في محاولة لاستحضار شخوصه المؤسطرة.

ربما هو تدخل غير مبرر من قبل المحرر في ترتيب مجريات الرواية، عله بمحاولته تلك ينجح في الانتقال من المفقود في الكلام، إلى ما وراء المحكي في غصة المتكلم أثناء استلقائه على سرير الذاكرة ليعيد إنتاج اللحظة بما يرضي فضول المحقق الصحفي أثناء بحثه عن ترجمة إنسانية للغة المشاعر المكتومة المتحكمة في صناعة الأحلام. هناك على خيط تغزله مواكب الشهداء.. تلك الأحلام التي ترجلت من وعيها الجمعي كفكرة، إلى لحظة من لحم ودم لها اسم وعنوان وعمر وهوية.

بكل بساطة هي... ليست إلا "أم عبد الله"، سيدة سورية في نهاية الأربعينات من عمرها، ريفية من قرى حلب، فيها بساطة الحقل وكبرياء السنابل، عايشت الحلم منذ طفولته الأولى قبل أربع سنوات أو ما يزيد. وهو... "عبد الله" ولدها البكر الذي تركته في كفن الوطن وكنف الحقيقة.

أثناء روايتها للقصة التي ابتدأت بحتمية تاريخية للقرى التي اختارت الحياة ورفضت الانتحار الجماعي، كانت توثق بكلماتها اللحظات الأخيرة لمن خرج من رحمها وبات في رحم المخاضات الوطنية.. لم تبك حينها، ولم تأت الكلام من فوقية الكبرياء الزائف الذي انتعلته كثيراً لغة من أتقن السمسرة بهواجس البسطاء، فهي قبل أن تدرك، تشعر بأن ما عاشته عايشته مئات الآلاف من السوريات ومازلن، في وظيفة باتت من اختصاصهن بامتياز، تتلخص بمحاورة منامات الشهداء وإخبارنا ظل الحقيقة فقط.

تمضي أم عبد الله في روايتها عن ذلك الفتى الذي لم ينتظر أكثر من واحد وعشرين عاماً قبل أن يحجز تذكرة بلا عودة نحو الآخرة، لأنه أدرك بأن فضاءات الدنيا لن تحتمل مستحيلات طموحه المتحرك جينياً وجيلياً، ولم نكن نحن نمتلك صوفية النواب لنقول لها في فواصل حديثها "الله وعبد الله أقارب"، نستمع لها تتحدث ببساطة التنور:

"آه يوم.. عبد الله يشبهكم كثير.. يشبه البلاد.. عبد الله مثل الفرات... غميق كثير وماحد يعرف شو بيو من أسرار، اللي بريد يعرف يروح هناك يم الشباب كل شي عندهم.. واحنا ماعنا غير شلون نعيش... ونجيب لقمة الأكل.. مكان ننام بيو.. إيه... كان قلي يام كل شي شان يتغير... بكرا كل شي أحسن وأني صدق ما على شي.. عذيك الفرحة بعيونه وعيون الشباب."

تحدثت كثيراً عن تحضير المظاهرات وكتابة اللافتات، أخذتنا إلى لحظات المشهد السوري كما هي دون تدخلات قمعية من عمليات المونتاج والميكسر والإخراج، تبحر بذاكرتها وتسرد صور الرفاق، تتذكرهم واحداً واحداً بأسمائهم، كيف تنساهم وهم الذين رافقوا عبد الله حياً، وجاؤوها به محمولاً على الأكتاف!

توقفت للحظات عن الكلام، تتغير الملامح وتخوض يداها حواراً من شكل آخر، في تلك اللحظة بكت، غصت بحسرتها قليلاً وهي تمسح دموعها، تتابع رواية أولئك الأصدقاء الذين قضى الكثيرون منهم بتهمة حراسة الأحلام تحت مقصلة الوفاء، في زمن الانقلابات القيمية وتزوير الأسماء الحركية باسم الثورة.

أم عبد الله تعيل الآن أشقاء وشقيقات عبد الله الستة، بعد أن أضحى الوالد معتقلاً وفضل بقية الذكور في العائلة البقاء هناك، تبحث في مخلفات النفايات عن الكرتون وعلب المعدن أو البلاستيك، تجمعها في عربتها لقاء ما يقارب ٢٠ ليرة تركية يومياً، ما يعادل نحو ٦٠٠ ليرة شهرياً، لم نخطئ بسؤالنا عما إذا كان ذلك المردود يقيها مُحل الحياة الفادح، بل سألنا إن كانت طلبت مساعدة من أحد يعينها على شظف العيش وحراسة من تبقى من أفراد عائلتها... تقول:

"عليش نطلب... ونطلب من أيو... اللي ما يعرف طريق القرايا وشمس الفرا عليش عيشتو يوم... ما أطلب من أحد... بعرقنا.. شلون شنا نفلح وناكل بالبلاد... هو زاد نعرق وما نطلب غير من وجهو الكريم."

وهي تجر عربتها يومياً في شوارع المدينة، تغدو أم عبد الله في سن حكمة الغرباء، لم تكن يسارية بما يكفي أو يمينية بما يلزم لتتحدث عن أحلامها من منظور حقوق الإنسان ومظالم المرأة والتغيرات المفترضة المناطة بدورها وموقعها في خريطة الأحداث والمتوقعة من اختلاف في مضمون الرواية والهوية الوطنية التي قالوا لها بأنها آتية من حناجر الثوار.

لم نثقل عليها بهذا الحديث الأكاديمي، لكن السؤال برسم منظمات المجتمع المدني الأهلي والتجمعات النسائية التي اعتبرت أن قضية المرأة واحدة من أهم أولوياتها في سياق النضال لتحقيق سوريا بطموحات تعلن القطيعة مع تعاليم الماضي المعلبة.

أم عبد الله ليست قصة فردية أو حالة نادرة، بل هي حدث متكامل لمئات الأسماء والحالات من نساء سوريات تقطعت بهم سبل الحياة بعد فقد المعيل وتحمل مرارة التهجير واللجوء، اخترن عربات القمامة من موقع الكبرياء والحفاظ على كرامة الإنسان وإعالة ما لديهن من أطفال على الحياة، وهي إذ لم تبحر في حديثها نحو عناوين حقوقها في لوائح المعاهادات والمنظمات الدولية، ولم تطرق أبواب الدوائر والمكاتب التي أخذت من هوية أم عبد الله ورفيقاتها "الجنسية" على الأقل مبرراً لوجودها وشعاراً لوظيفتها، لتندفع الأسئلة: أين نحن؟ ماذا نفعل؟ أين وصلنا؟ ومئات الأسئلة الأخرى التي لا بد منها في مقابل لحظة إنسانية موجعة إلى هذا الحد، والإجابة هنا ليست سوى محاولة لازمة نحو الوفاء للحلم الذي تبجحنا جميعاً بأننا هنا من موقع الدفاع عنه، ذلك الوفاء الذي ربما يكون مؤلماً... لكنه حتماً لا يضر.

أم عبد الله لن تنتظر.. تمضي في رحلتها اليومية نحو صناعة الحياة التي تريد، وقد باتت تراها من خلال أبنائها الخمسة وذاك الذي تركته في حقل البيت بين أشجار الزيتون والجوز.

قبل أن تتركنا سألناها عما تبقى في جعبتها من أحلام؟ لم تتكلم.. أمسكت مقود عربتها... ونظرت نحو الجنوب...

في ثلاثية الأضداد القائمة على أضلاع: الأحلام، المستحيل والمستقبل المفتوح على كل الاحتمالات، تنتصر مقاربة الأمل التي تحترفها نسوة تماماً كما يحترفن بساطة الحياة وصناعة اللحظة، ضمن فوارق طفيفة في المضمون والمعنى بين الفعل الثوري هناك، ومكابدة تداعياته فيما صا يسمى مجازا "هنا"، لتغدو أم عبد الله والكثير من رفيقاتها كآلهة رمزية تقف على خيط الذاكرة، في مزاولة مستمرة لمهمتها الأساسية التي لا يمكن أن تخطئها، تكمن في توثيق الرواية، ربثما يحدث الذي طال حدوثه كثيراً، إخراج مشهد نصر محتمل مازال في ميناء الانتظار حتى اللحظة على الأقل...

تركته هناك.

لاجئات سوريات والبيع بصفة زوجة ثانية

تحقيق: ميهفيش إيفن
فريق ترجمة سيدة سوريا

تعدّ الحرب الدائرة في سوريا الأكبر في القرن الحادي والعشرين. فالأزمة التي أصبح عمرها ثلاث سنوات، تجاوز عدد ضحاياها ١٥٠ ألف قتيل، بحلول الأول من نيسان لعام ٢٠١٤، وبحسب المفوضية العليا للاجئين، فقد وصل عدد السوريين الهاربين من سوريا إلى ٢,٧ مليون سوري.

التجأ السوريون إلى الدول المجاورة، مثل تركيا، بسبب الحرب التي مزقتهم، والتي بلغ عدد طالبي اللجوء جراءها إلى أوروبا، حتى الآن، إلى ٧١٤٥٥٢ لاجئاً، فضلاً عن غير المسجلين. وبحسب تقديرات الأمم المتحدة فإن العدد الحقيقي يتجاوز المليون لاجئ، فقط ٢٢٠ ألف منهم قد تمّ نقلهم إلى المخيمات. اللاجئون السوريون في تركيا ليست لديهم ثبوتيات للتعريف بشخصيتهم، كما أنه لا حقوق لهم، وبحسب القوانين التركية فهم "ضيوف". وحتى إن بدا الأمر إيجابياً، فإن العديد من السوريين يجدون صعوبة كبيرة في إيجاد فرص للعمل، السكن، أو التحصيل العلمي، فضلاً عن الفروقات الثقافية.

آلاف العائلات التي التجأت إلى إقليم هاتاي في تركيا، تعيش خارج المخيمات، في القرى الحدودية، يستأجرون بيوتاً أشبه بالأكواخ، وحظائر الحيوانات في بعض الأحيان، وقد تمّ التقاط الصورة المرفقة في بلدة الريحانية، في إقليم هاتاي.

قبل سفري إلى هاتاي، وهي ولاية في جنوب تركيا، تقع على الحدود السورية، سمعت قصصاً مروّعة، قصصاً لشابات سوريات التجأن إلى تركيا، فتعرّضن للانتهاكات الجنسية، وتمّ تزويجهن كزوجة ثانية بشكل غير قانوني، وبموجب عقود "شرعية" بواسطة رجال الدين.

وقد نشر ناشطون في منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان، تقارير صحفية، في محاولات للفت نظر الجهات الرسمية والمجتمع التركي لهذه الإشكاليات، دون أية جدوى. ولهذا قرّرت مغادرة مدينتي "استانبول" حيث ولدت وأقيم، متجهاً إلى هاتاي في شهر شباط، من أجل إجراء تقرير لصالح جريدة ميلليت التركية.

تبعد هاتاي مسافة ٤٠كم عن مدينة حلب السورية، وهي أقرب إلى مدينة إدلب السورية، كلا المحافظتين قد دمّرتا كلياً بفعل "الحرب"، حيث التجأ مئات الآلاف من سكانهما إلى تركيا، فيما ركزت الصحافة المرئية اهتمامها على وجود "المجاهدين"، وترك اللاجئون في الشوارع، دون اكتراث لما يحدث للنساء.

في هذا التوقيت تزايدت حالات زواج رجال أتراك من نساء سوريات بعقود "شرعية" أو "دينية" (عن طريق الإمام)، بشكل كبير، وبحسب السبق الصحفي الذي أوثق خلاله لروايتي هذه، أستطيع القول إنه سرّ لا يخفى على أحد!

جدير بالذكر أن الزيجات عن طريق الشيخ أو الإمام، هي زيجات غير قانونية في تركيا، كما هي الحال مع تزويج الفتيات اللاتي تقلّ أعمارهن عن ١٨عاماً، بكلّ الأحوال فإن الإسلاميين الأصوليين يتجاوزون القانون في تركيا، ولكن نادراً ما يتم ضبطهم. تظلّ حالات الزواج هذه عادةً طيّ الكتمان، وفي الأغلب يتنبّه الرأي العام إليها حين تقتل الزوجة على يد عائلتها أو زوجها (فتركيا من الدول ذات المعدّلات المرتفعة في مجال العنف الأسري، إذ تسجل يومياً جريمة قتل بحق أنثى، من قبل شريكها أو زوجها).

غير أن الثقافة السورية أكثر تعقيداً، فتعدد الزوجات أمر مألوف لدى السنّة في المناطق الريفية، خاصة أولئك الذين يعيشون في القسم الشمالي من ذلك البلد الذي مزقته الحرب، كما

أنه من الطبيعي جداً تزويج الفتيات اللاتي تقلّ أعمارهن عن الثمانية عشر عاماً. على كل حال، فقد أخبرني بعض العاملين في الحقل الإنساني أن سن الزواج للفتيات السوريات قد انخفض بعد الحرب إلى ١٣ أو ١٤ عاماً.

"عرائس الحرب" السوريات

يخبرني بعض السكان المحليين في إقليم هاتاي أن الفتيات السوريات كنّ مرغوبات للزواج، حتى قبل الحرب، فالعديد من سكان الإقليم، لديهم أقارب على الجانب المقابل من الحدود في سوريا، وهنالك روابط ثقافية قوية بين الأتراك الذين ينحدرون من أصول عربية، وبين السوريين.

وبما أن اللاجئين السوريين لا يملكون أية إثباتات شخصية، فإنهم لا يستطيعون الزواج بشكل قانوني، وهذا يعني أنّ كلّ حالة زواج لمواطن تركي من فتاة سورية هي غير قانونية بالضرورة.

هاتاي، عينتاب، أورفة وكيليس هي المدن التركية الأكثر شهرة لجهة الاهتمام بالزواج من فتيات سوريات، كزوجات ثانيات، وكذلك هناك من يرغبون في الزواج من سوريات في مدن أخرى داخل إقليم الأناضول في تركيا، مثل قونيا، بايبورت وأفيون.

"منبر كيليس" هو منظمة غير حكومية وثقت أنه في كيليس وحدها، والتي يبلغ تعداد سكانها ١٢٤٠٠٠ مواطناً، قد تزوج ٥٠٠٠ شخص من فتيات سوريات، كذلك فقد وردني من أشخاص في منطقة الريحانية في هاتاي، أن "نصف رجال منطقتهم قد تزوجوا من فتيات سوريات للمرة الثانية أو الثالثة" حسب زعمهم.

فيما قال أحد الأطباء المحليين، والذي رفض إعطاء اسمه: "الزواج من ثلاث أو أربع نساء أمرٌ عادي لدى السوريين، لكن هذه الحالات كانت قليلة بعض الشيء في الريحانية، ليصبح الأمر مألوفاً شيئاً فشيئاً بعد اندلاع الحرب. الزوجات اللواتي يرفضن وجود "ضرّة" يتعرضن للضرب، وإذا ما طلّقها زوجها، ماذا بوسعها أن تفعل؟ فيما مضى، كانت المرأة تعاني من وجود "الحماة"، اليوم هي تعاني من وجود "الضرّة"، في العادة تقوم الزوجة الأولى بتقديم ضرّتها على أنها أخت زوجها، تفادياً للحرج.

ولكنّهن غالباً ما يستخدمن "ضرائرهن" صغيرات السن، كخادمات لمساعدتهن في أعمال المنزل.

مطالب بسيطة

ما السبب وراء اندفاع الرجال الأكراد والأتراك إلى الزواج من سوريات؟ لأن هذا النوع من الزيجات اقتصادي أكثر بكثير! قبل عامين، كان المبلغ الذي يتفق عليه لإتمام الصفقة، هو ١٠٠٠٠ليرة تركية (قرابة ٥٠٠٠ دولار أمريكي)، اليوم أصبح مبلغ ألف أو ألفي ليرة تركية كافياً، فيما يقول البعض أنك كي تحصل على عروس يكفي أن تدفع بين ٣٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ ليرة تركية في المدن الجنوبية التركية. وبحسب شهادة صاحب أحد المحلات التجارية في هاتاي: "كما أنه هناك نوع من البطاطا ثمنه ٢ ليرة تركية للكيلوغرام الواحد، فيما هناك نوع آخر سعره ٥ ليرات تركية للكيلوغرام، كذلك هو الأمر بالنسبة للعرائس السوريات، فالثمن يتغير بحسب جمال المرأة وعمرها! ولسوء الحظ فإن ما يتعلّق بمسألة العمر، يعني أن تكون العروس طفلة!

أحد المسؤولين في قطاع الصحة، يشرح هذه الحقيقة قائلاً: "بعض اللاجئات السوريات، أصبحن أمهات في سن الرابعة أو الخامسة عشرة، وما يدّعيه رجال المنطقة من أنها حالات زواج، إنّما يندرج في الواقع تحت مسمى (الاستغلال الجنسي)، وفي نهاية الأمر، فإن السوريين لا يطالبون بمهر ولا مجوهرات لتزويج بناتهن، وبكلمات أخرى، فإن الزواج من سوريات، يفي بأغراض الرجال، لذا يفضلون الفتاة السورية كزوجة أولى، وثانية وثالثة في بعض الأحيان".

ماذا يحدث للزوجة الأولى؟ ألا تعترض؟

"يحضر الرجال الفتاة، ويقدّمونها على أنها زوجة ثانية، تنزعج الزوجة الأولى، لكنها تلتزم الصمت كغيرها، لأنه في الغالب غير محميّات اجتماعياً بالقدر الكافي، ولأن غالبيتهن غير متعلّمات".

إذا لم تكن قادراً على دفع الإيجار.. زوّجني ابنتك

إنّ قضية الزيجة الثانية ليست بريئة على الإطلاق، كثير من الفتيات السوريات أجبرن على الزواج لأنهنّ في حالة من العوز الشديد. فالأوضاع الاقتصادية للعائلات الهاربة من جحيم الحرب في سوريا، في غاية البؤس، فهم لا يملكون بيتاً أو عملاً يعتاشون منه. لذا، فإن الكثير من الأسر تفضل الموافقة على أي عريس يتقدّم للزواج من بناتهم. ولسوء الحظ، فإن الرجال في المجتمع المحلي، يقومون باستغلالهن.

أورفا، مدينة حدودية تركية أخرى، يعيش فيها لاجئون سوريون، السيدة أمينة، المتواجدة في "بيت إيواء النسوة"، تشرح لي عبر الهاتف، وجود العديد من المشكلات الاجتماعية المرتبطة بمسألة الزيجة الثانية من سيدة سورية، وأنّ "الحالة النفسية للنساء العربيات ليست على ما يرام، وأنّ حالات الزواج المتعدّد تشهد تزايداً، وأن مخاوف جمّة بدأت تساور النساء في البلدة من أن يكنّ ضحية لهذه الظاهرة. أستطيع القول إن المكان تحوّل إلى سوق نخاسة، فالموضوع يحدث بشكل علني في أورفة، يتم الإتجار بالنساء مقابل الحصول على المال".

هنالك بعض الرجال ممن يصابون بخيبة أمل بعد الزواج بامرأة ثانية، ويبدؤون بالبحث عن زوجة ثالثة، والبعض يعيدون الزوجة السورية إلى أهلها، مبرّرين فعلتهم بالقول إن "هذه الفتاة مريضة" بعد أسبوعين من الزواج بها بموجب عقد يكتبه "الشيخ". كما أنه هناك بعض مالكي العقارات، ممن يجرؤون على القول: "إذا لم تكن قادراً على دفع إيجار المنزل، زوّجني ابنتك".

أجل، كان هذا ما سمعته في ولاية هاتاي، هؤلاء الرجال يزعمون أنهم ينقذون الفتيات بعقد

القران عليهن عن طريق عقود شرعية. والحقيقة أن هؤلاء السيدات هنّ ضحايا للحرب، تتمّ مقايضتهنّ كما لو أنهن مجرد سلع.

فيما يلي تقرؤون لقاءات مع بعض السكان المحليين واللاجئين من ولايتي هاتاي وديار بكر.

رجل متزوج من سيدتين: هل ارتباط الرجل بخليلة أكثر أخلاقية من ارتباطه بزوجة ثانية؟

السيد "س. م"، مدير معهد خاص في هاتاي- الريحانية، يقدم التعليم المجاني لأبناء الشهداء، (ما يعني أنّ آباءهم كانوا من المجاهدين)، أخبرني بمنتهى اللامبالاة أنّه تزوج بزوجة ثانية من سوريا. وحين سألته عن شعور زوجته الأولى، قفز مباشرة إلى فكرة انحلال الأخلاق في الغرب.

- لقد تزوجت من سيدة سورية قبل خمسة أعوام، هي الآن تبلغ من العمر ٤٣عاماً، تحمل درجة الدكتوراه في العلوم الشرعية، انتقلت للعيش في تركيا بعد اندلاع الحرب. زوجتي الأولى والثانية تقيمان في نفس المبنى، إحداهما في الطابق الأول والأخرى في الثاني.

- يدّعي العالم الغربي احترامه للمرأة، حسناً من الذي يقوم باستغلال المراة في الإعلانات؟ هم ينتقدون الإسلام لأنّه سمح بتعدّد الزوجات، دعينا نجري إحصائية في العالم الغربي ونستطلع عدد الرجال المخلصين، لن تجدي ولا حتى ١%!

- حين ينقل الرجل لزوجته العدوى بأحد الأمراض الجنسية، ألا يعتبر ذلك خطيئة؟ كل رجل في الغرب لديه خليلة، أن تكون لديك خليلة أمر أخلاقي أكثر من زواجك بامرأة ثانية! أجل هناك فتيات سوريات مسكينات وقعن في المصيدة، هنالك الكثيرون من عديمي الإنسانية، ممن يستفيدون من مظلومية هؤلاء الضحايا، فيعملون على استغلالهن.

"سمسارزواج": "أتلقى مكالمات من كافة أنحاء تركيا"

بات السيد "إلياس" معروفاً في شتى أنحاء هاتاي على أنه "سمسارزواج"، ولأنه وقع في مشكلة صغيرة مؤخراً، فهو يتوخى الحذر في الوقت الراهن.

"لن أقوم بتزويج أية فتاة بعد اليوم! هنالك فتيات يقمن بسرقة المجوهرات ويهربن من مراسم حفل الزفاف، لكنني زوّجت فتاة سورية من عائلة محترمة البارحة، والحمد لله".

ويتابع قائلاً: "بدأت القصة قبل اندلاع الحرب في سوريا، حيث أرسلنا فتيات من قريتنا وزوجناهن في كل من قونيا واستانبول، أحبهنّ الأهالي، فهن يطهين طعاماً لذيذاً، أنيقات في لباسهن، مع الحفاظ على عاداتهن الإسلامية. كما أنهن محتشمات. بعدها، بدأ الناس يطلبون مني المزيد من الفتيات للزواج". سألته: "هل كانت الفتيات سوريات؟"، وأجاب: "نعم"، مضيفاً: "أنا مجرّد واسطة خير، لكن الناس يسيئون فهمي، مجرّد الاتصال بسوريا، لتقول كلمة (مرحبا)، يكلّفك ١٠ ليرات تركية، إنه غالٍ جداً، لقد زوجت فتاتين في أفيون، وأنفقت من مالي الخاص، سمع بالأمر شخص من مدينة "نيغدة"، فقلت له إن نيغدة مشهورة بزراعتها للبطاطا، إذا لم تحضر لي بطاطا من "نيغدة"، فلن تحصل على فتاة للزواج!"، معقباً: "أحدهم أوقف مراسم الزواج، يريدني أن أكفلها، ماذا أكفل بها؟ هل هي صفقة بطيخ أحمر ليتأكد من سلامتها؟ أم سيارة بدون رخصة؟ هي ليست أختي، لذلك لا أهتمّ للأمر..".

قصص من ديار بكر: ادّعى بأنّه أعزب

قام زميلي "عزيز فيدانجي" من ديار بكر، بإجراء حوارات مع بعض السوريين الذين وقعوا في مصيدة "الزيجات الشرعية"، التي يروّجها البعض لغايات اقتصادية.

"حسن": هنالك الكثير من العائلات التي لديها زوجة سورية ثانية، في كل المدن التركية. أصاب بحزن بالغ حين أرى رجلاً عمره ٦٠ عاماً، يتزوج من فتاة عمرها ١٩-٢٠ عاماً، هذا النمط من الزواج يزداد منذ اندلاع الحرب.

"ز.أ": أعرف شخصاً من سوريا كانت لديه ٤ زوجات، و٣٠ ولداً، زوّج واحدة من بناته وفق ما يسمى "المقايضة"، اتضح فيما بعد أن الرّجل متزوج ولديه ٦ أولاد، استمرّ زواجهما شهراً واحداً، لتعود البنت لبيت أبيها. الرجال الذين يرغبون في الزواج يتواصلون مع رجال بلدي في كل من هاتاي وأورفة. العائلات هناك تزوج بناتها لعدم قدرتهم على حمايتهن وتدبّر أمرهن، نحن نعيش ظروفاً شديدة القسوة.

"ميرا": لا يتعامل الناس في سوريا مع النساء على أنهن رخيصات، كما هو الحال في تركيا، أو بنفس الدرجة على الأقل، لكن الرجال لا يتركون كذبة إلا ويخبرونها للفتيات، كثيرون يرغبون في الزواج بفتاة سورية بأي ثمن، لكن ٩٠% منهم كاذبون، يدّعون بأنهم أغنياء وعازبون، ليتضح الزفاف أن لديهم أولاداً، الفتيات في عمر ٢٠-٢٢ عاماً يتعرّضن للخداع، والفتاة أمام خيارين: إما مغادرة المنزل والعودة مطلقة إلى أهلها، أو الرضوخ للواقع وتقبُّل كونها زوجة ثانية.

"شوري": تركت البلد هرباً من جحيم الحرب، كان هناك رجال يأتون لمساعدتنا بشكل دائم، يحضرون لنا الطعام، لاحقاً طلب أحدهم الزواج بي، كان عمره ٥٥ عاماً، قال إن زوجته توفيت وليس لديه أولاد، ولأنني كنت في غاية اليأس، قبلت به، خاصة أنه وعد أهلي باستئجار بيت لهم. لاحقاً علمت أن زوجته حية، وأنّ لديه ٤ أطفال، فرفضت الزواج، وأنا الآن محبطة، بائسة، أنتظر العريس الذي سيأتي.

"هادو": عمي الذي يعيش في ظروف بائسة، قام بتزويج ابنته البالغة من العمر ٢٢ عاماً لرجل بعمر ٥٠، اتضح فيما بعد أن الرجل مفلس! والآن تعيش ابنة عمي حالة عوز، بعد كل الأهوال التي لقيتها في سوريا.

"س.أ" سيدة من المنطقة: أحد جيراننا أحضر الزوجة الثالثة، بدأت أخاف على زوجي، الرجال في عمر ٥٠ يتزوجون بفتيات أعمارهن ٢٠-٢٥عاماً ، ما يشعرني بالقلق، الفتيات لسن قبيحات على الإطلاق، لكن الرجال لعنهم الله، يخدعون هؤلاء الفتيات!

المصدر:
https://www.contributoria.com/issue/ 2014-05/531b15dbd63a707e78000177/producti on

عشرة طرق يجب أن تمر بها المرأة السورية للوصول إلى السلام

كريستين ويليامز*
عن الإنكليزية: سوز حج يونس

ما هي الشجاعة؟ وما هو شكل القوة التي يتمتع بها أولئك الذين يتعرضون للسجن والتعذيب وحتى للموت، بهدف الوصول إلى مستقبل أفضل، ربما لن يروه. أعلم جيداً كيف هي تلك الشجاعة، فقد شاهدتها في السوريين من مختلف الأعمار، والأديان والإثنيات، وشاهدتها في أعمالهم البسيطة التي كانوا يقومون بها، وفي التحديات التي كانوا يتغلبون عليها. إنّ ما يثير دهشتي بين الوقت والآخر، هو أولئك النسوة اللاتي أتين من الداخل السوري للانضمام إلى برامج التدريب التي نقيمها، وقدرتهن على الابتسام والضحك، عندما يحضرن طواعية للعودة فيما بعد إلى مدنهن المحاصرة، وتعهدّهن ببذل جهود أكبر من أجل تحقيق السلام في بلدهنّ. إنّ أمراً كهذا يظلّ يستحوذني بشدة. إنّ النساء السوريات يقُمن بجهد استثنائي. فالقصص التي سمعتها طيلة السنوات الثلاث الماضية، ربما تعتبر جزءاً صغيراً، لكنّها تلخّص ما هو ممكن في هذا الصراع العسير والمرير.

ملاحظة: نظراً للمخاطر الأمنية فقد تم حذف أسماء الأشخاص والأماكن.

إذاً ما هي الشجاعة؟ الشجاعة هي:

١- وقف تزويج القاصرات، لمواجهة التدهور الاقتصادي الناتج عن الحرب، تقوم العديد من العائلات السورية ببيع فتياتهنّ القاصرات من خلال تزويجهنّ. في إحدى المدن التي تقع تحت سيطرة "داعش"، حيث يقدم المقاتلون الأجانب بالتحديد، مهوراً عالية، إذ تُظهر التقديرات أنّ ٢ من أصل ١٠ فتيات هن عرضة لهذا الفعل، ولكن مجموعة من الناشطات تطوعنَ هنا، للذهاب إلى كلّ بيت بقصد إقناع العائلات بأنّ الزواج المبكر من شأنه أن يعمل على تدمير الصحة الجسدية والنفسية للقاصر، وإذا ما اكتشف تنظيم داعش أمر هؤلاء الناشطات، فإنّه بالتأكيد سيقوم باعتقالهن. غير أنّ هؤلاء الناشطات نجحن في استخدام رجعية هذا التنظيم لصالحهن، فتحت العباءات الطويلة التي يُرغَمن على ارتدائها، أصبح لديهنّ حرية أكبر في التحرك والمرور، حتى من خلال نقاط التفتيش، دون أن يتم اكتشاف هوياتهنّ، حيث تمكّنت هذه المجموعة من الناشطات السوريات من إخضاع نحو ٥٠ فتاة لدورات توعوية استمرت لثلاثة أشهر.

٢- تحقيق الاندماج بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة لهم، لقد فرّ نحو أربعة ملايين سوري من بلادهم، للبحث عن الأمان في تركيا، الأردن، لبنان والعراق، وهذا التدفق الكبير والمستمرّ للاجئين السوريين على مدى الأربعة أعوام الماضية، خلق توتراً ملحوظاً بين هؤلاء اللاجئين والمجتمعات التي تستضيفهم، وهذا الأمر يكلّف الحكومات أموالاً لاحتواء هذا العدد الكبير من اللاجئين، كما أنّ هؤلاء اللاجئين باتوا ينافسون الأيدي العاملة المحلية في تلك البلدان على فرص العمل.

تحاول مجموعة من النساء السوريات في جنوب تركيا، سدّ الفجوة بين زملائهم من الأتراك والسوريين في الجامعات هناك، من خلال تطوير نشاطات لمساعدة الطلاب على المناقشة والفهم، ضمن مساحات اهتمام مشتركة بينهم كالأدب والتاريخ وما إلى ذلك، بينما تقوم مجموعة أخرى بتوفير تدريبات للاجئين باللغة التركية، كخطوة أولى لخلق التواصل بين الطرفين.

٣- ضبط الشارع، فكثيراً ما نسمع هذه الأيام عن المرأة الكردية المقاتلة، والتي تحارب داعش

في كلّ من سوريا والعراق، لكن في المقابل هناك نساء أخريات يعملن على توفير الأمن وتطبيق القانون، في إحدى المدن التي تعتبر من معاقل المعارضة، فقبل نحو عامين من الآن تجمّعت نحو عشرين امرأة هناك لتشكيل ما يشبه فرقة شرطة لكلّ النساء، في البداية استهجنهن المجتمع وتحاشاهن، لكنهنّ الآن تمكنّ من الحصول على الثقة والاحترام، وتمكنّ حتى من تحقيق مكانة خاصة لهن في المجتمع. لقد أثبتن خبرة واضحة في التعامل مع الضحايا من النساء، وخاصة ضحايا العنف الجنسي، والتي تُعتبر من أكثر الجرائم التي سجلتها الشرطة النسائية. وعلى خلاف رجال الشرطة، فإنّ الشرطة النسائية يمكنها وبسهولة دخول المعاقل المتشددة، عندما تكون النساء وحدهنّ موجودات في المنزل، كما تستطيع الشرطة النسائية تقديم خدمات للعائلات، في الحالات الحرجة والشائكة.

٤- الاستماع إلى الفئات المضطهدة، حيث تعاني النساء في المناطق الريفية النائية من تحديات جمّة، فاحتياجاتهنّ السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك الأمنية مختلفة عن احتياجات النساء في المدينة، وذلك نظراً لوجودهنّ في مناطق بعيدة نائية، مما يجعلهنّ عرضة للتهميش والإهمال. وقد نظمت ناشطات في إحدى المناطق الخاضعة لسيطرة جبهة النصرة، حملة لإدارة سلسلة من النقاشات والمداولات ضمن عشرة قرى في الجبال المجاورة، تمّ خلال هذه الحملة الكشف عن العديد من المشكلات، والتي من ضمنها، قيام مقاتلي من جبهة النصرة باعتقالات عشوائية وتعسفية لرجال إحدى القرى ونسائها، حيث تم سجنهم لمدة يومين ثم أطلق سراحهم بعدها. كما تقوم هؤلاء الناشطات بلعب دور مهم في تطوير برامج التنمية الاقتصادية للنساء الريفيات للتغلّب على الفقر.

٥- إعادة افتتاح المدارس، إنّ أول ما فعله المتشددون في المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش، هو إيقاف التعليم، حيث أصبح فتح أية مدرسة من الأعمال الخطرة، التي من شأنها أن تعرّض صاحبها للمحاسبة. وعلى الرغم من خطورة هذا الموضوع فقد تطوّعت

مجموعة من الناشطات السوريات، لافتتاح مدرستين خاصتين، حيث قمن بالتوجه إلى مكتب المختار، وقمن بإقناعه بأن الإسلام والقرآن الكريم يشجعان على التعليم، واستطاعت هذه المجموعة افتتاح المدارس لمدة ساعتين يومياً. حيث كانت الكهرباء مقطوعة طيلة الوقت، لكن في المقابل تمّ تسجيل المئات من الأطفال المحرومين من التعليم خلال السنة الفائتة، ربما يريد "داعش" أن يرى نفسه الطرف الوحيد الذي يعلّم الآخرين!

٦- مساعدة العائلات في معيشتها، فقلة فرص العمل داخل سوريا، وحتى داخل المجتمعات التي يتواجد فيها اللاجئون السوريون، جعلت من النساء والأطفال بالتحديد الشريحة الأكثر تضرراً من هذا الوضع، بالإضافة إلى كون النساء غير قادرات على العمل دائماً خارج المنزل، نظراً للواجبات المنزلية الملقاة على عاتقها من جهة، ولكون النساء قد يعانين من تقييد لحرية تحركهنّ من جهة أخرى.

تعمل مجموعات من النساء الناشطات، على تطوير المهارات المهنية للنساء، من خلال تعليمهنّ المبادئ الأساسية في الحاسوب واللغة الإنجليزية، والصناعة اليدوية والملابس وما إلى ذلك، وقد قامت مجموعة من الناشطات في إحدى المناطق القريبة من إدلب، بإنشاء معهد قام بتدريب أكثر من ٣٠٠ امرأة، في حين قامت مجموعة أخرى في منطقة وجود اللاجئين جنوب تركيا، بإنشاء فندق رخيص للنساء العازبات، بقصد حمايتهن من الوقوع في شرك شبكات الدعارة، أو إرغامهنّ على الزواج، أو غير ذلك من أشكال الاستغلال التي قد يتعرضن لها في سبيل الحصول على لقمة العيش. ٧- إصلاح الفساد في المحاكم والسلك القضائي، ويمكننا وصف النظام القضائي في سوريا بأنّه نظام هشّ، فالنظام السوري يستخدم المحاكم، التي من ضمنها المحاكم الخاصة المشمولة بقانون "مكافحة الإرهاب" منذ نحو عامين، لخنق المعارضة، وكذلك لمعاقبة الناشطين المسالمين، كما أنّ داعش والآخرين يطبقون ما يسمى "بالمحاكم الشرعية"، التي اعتقلت المئات من الناس بتهم ثانوية وتافهة، بينما في المناطق الكردية تكون المشكلة مختلفة، حيث قام الحزب السياسي المهيمن هناك بتأسيس محاكم مستقلة تعرف "بمحاكم الشعب" والتي لا تتبع لا القانون السوري، ولا القانون الدولي، وقد قامت مجموعة من الناشطات، وكان من ضمنها نساء حقوقيات بتحدي هذا النظام القضائي الذي يتهمنه بالتغاضي عن معاقبة المنتمين والمؤيدين للحزب، في حين أنه يركّز على محاسبة أولئك المعروفين بتأييدهم للمعارضة، حيث تقوم هؤلاء الناشطات بتوحيد المجموعات المختلفة لتمكّنها من

الوقوف في وجه السلطة الشمولية للديكتاتوريات القضائية.

٨- تلقيح الأطفال. لقد ساهمت النساء السوريات في المشاركة، وكذلك في مساندة جهود الدعم الإنسانية خلال الحرب، ولعبت العديد منهنّ دوراً مهماً في تأمين الخدمات الأساسية، التي تكون عادة من مسؤولية الحكومات في أوقات السلم. فعلى سبيل المثال قامت مجموعة من النساء في إحدى المناطق القريبة من إدلب، بحملة لتلقيح المواليد الجديدة خلال الأيام الأولى الحرجة من حياة هذه المواليد، وأخذت المجموعة تتواصل مع المنظمات الطبية الداعمة محلياً، حيث تمكنت من إيصال اللقاحات إلى المنازل مباشرة، بينما كان النظام السوري مستمراً في إلقاء البراميل على المدينة، فتمكّنّ وبنجاح من تلقيح نحو ٦٠٠ طفل في كل شهر من الحملة.

٩- منع تسليح الأطفال. ففي إحدى المدن القريبة من إدلب، يحمل العديد من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٣ إلى ١٨ سنة السلاح في محاولة منهم لتقليد آبائهم، ومع انتشار ظاهرة تسلّح الأطفال، تحوّل أطفال المدارس إلى مقاتلين في الشوارع الخطرة، كما تقوم العديد من الميليشيات الموجودة في المنطقة بتجنيد هؤلاء الأطفال في خطوط المواجهة الأمامية. وتسعى مجموعة من النساء الناشطات إلى دفع المجلس المحلي في تلك المنطقة إلى شجب هذا المنحى، وقد طالبت السلطات بتمرير قانون يمنع الأطفال دون سنّ الـ ١٨ من حمل السلاح، ومطالبة الجهات الممولة للسلاح، بالتعهد بمنع بيعها ووصولها لأيدي الأطفال. وقد وعد المجلس المحلي خلال الأشهر الماضية بإصدار هكذا قانون، لكنّ الناشطات لا يزلن يقمن بممارسة الضغط لتمرير مثل هكذا قانون.

١٠- حشد وتعبئة الجهود الرامية لتحقيق السلام. فقد التزمت كلّ النساء اللواتي تم تدريبهنّ من قبل معهد السلام الشامل، بتعبئة عشر نساء أخريات على الأقل، وذلك بعد العودة إلى مجتمعهن الأم. وهذا ما يسمى "بدورة السلام"، حيث تقوم من نسميهنّ "بالنساء القادة" بتعليم الأخريات المهارات نفسها، حول كيفية تحليل المشكلات في مناطقهن المحلية، وكيفية تحديد الاستراتيجيات السليمة للتغلب على هذه المشكلات. كما أن "دورات السلام" باتت تشهد ارتفاعاً ملحوظاً من حملات تدعو للتعايش وحقوق الإنسان، وتقديم الدعم للسجناء السابقين والحاليين، من خلال تقديم الاستشارات القانونية والنفسية إليهم.

إنّ الطاقة الخلاّقة لهؤلاء النسوة لا حدود لها، حيث يُعتبرن أفضل أمل لسوريا للوصول إلى مستقبل آمن ومسالم.

*** كاتبة ومسؤولة عن برنامج معهد السلام الشامل، وقد أجرت خلال السنوات الثلاث الأخيرة العديد من المقابلات مع نساء سوريات، حول النشاطات الخاصة ببناء السلام على المستوى المحلي.**

***نشرت في ٢٦ حزيران ٢٠١٥، رابط المادة الأصلي باللغة الإنجليزية**

http://www.pri.org/stories/2015-06-26/10-ways-syrian-women-risk-it-all-peace

هل ستعودين إلى سوريا حين تنتهي الحرب؟

هند مجلي
شبكة المراة السورية

بدأت أعتاد إجابات النساء بالنفي. لا نريد العودة إلى سوريا مهما كانت الأسباب. ربما سنذهب في زيارات سياحية. ربما سنأخذ أولادنا ليعرفوا موطنهم الأصلي. ربما. فقط. مدركة حجم الأهوال التي سببتها الحرب في سوريا. والتي دفعت فيها النساء الثمن الأكبر من اعتقال واغتصاب وتشرد ونزوح وفقر وجوع وثكل وترمل. وبعد استفاضتهن بالحديث عن أنفسهن. توضحت الصورة أكثر عن معاناة وألم عشنه. ولم تكن الحرب في سوريا هي المسبب الأول له. فقد كانت حياتهن قبل الحرب نوعاً آخر من الجحيم. لماذا أعود؟ هل أعود للفقر والذل؟ هل أعود لأسكن في بيت أهل زوجي؟ هل أعود خادمة لزوجي وأهله؟ كنت أعيش العبودية. لا احترام ولا كرامة أو حقوق. لم أعرف أو أتذوق طعماً للاستقرار أو السعادة.

رندة. امرأة ذات جمال وحضور لطيف. بعد قرابة سنتين من هجرتها إلى أمريكا. وقد كانت لها معاناتها في بداية الاغتراب والاندماج إلى جانب كم كبير من الشوق والحنين. تقول اليوم: "باختصار. لقد أصبحت إنسانة هنا. ولست حيوانة يضربني زوجي صباحاً ومساء. وأسكت كيلا يطلقني فينبذني الناس. ويدفع أولادي ثمن طلاقي في مجتمع لا يرحم.

لقد استأجرت بيتاً. لدي سيارة وعمل. وعندي صديقات. الحياة صعبة جداً هنا. أخرج من البيت عند الخامسة صباحاً وأعود عند السادسة مساء. لكنني أشعر بالراحة لأنني أستطيع أن أصرف على نفسي وأوفر أيضاً دون أن أحتاج أحداً. يكفيني الشعور بأني لي احترامي. وأنني محمية في دولة تحرص على حقوقي وكرامتي. والناس هنا لا تفكر بطريقتنا. بل يبدون من التعاطف والاحترام قدراً كبيراً للمرأة وخصوصاً حين تكون مع أولادها بلا زوج.

أقدر ظروف المرأة في سوريا. وأقدر معاناتها. لأنني مررت بها. ولكن أنصحها إذا كانت ظروفها مناسبة أن تكون لها القدرة على الدفاع عن نفسها وصون كرامتها. وألا تسكت عن إهانتها أو مسبتها. وإن كانت مستقلة مادياً أنصحها بالتصرف فوراً والطلاق. طبعا حين يسيء معاملتها. ستكون أفضل حالاً دون وجوده في حياتها محبِطاً ومدمراً لشخصيتها. لم تتغير قناعاتي بالنسبة للدين. أخاف الله ولا أؤذي أحداً. وأحترم كل القناعات الأخرى للناس من حولي".

يارا. امرأة شابة وجميلة. بدأت ثورة التغييرات على حياتها منذ وصلت إلى لبنان مع أسرتها وزوجها وأولادها. وما لبث زوجها أن تركها وعاد إلى سوريا. بحثت عن عمل تعيل به أسرتها ووجدت فرصة للعمل في مطبخ تابع مطعم لبناني. كان العمل شاقاً وأوقات الدوام طويلة. وما لبث أن اعترض إخوتها على خروجها للعمل. فواجهتهم بأنها ستتوقف. لكنهم مقابل ذلك سيكونون مسؤولين عنها. من كافة النواحي. من مأكل ومشرب ولباس لها ولأولادها. لم يجد الإخوة حلاً سوى أن يوافقوا على عملها وخروجها اليومي من المنزل. لانعدام فرص العمل أمامهم بسبب الظروف الأمنية في لبنان. وصعوبة التنقل فيه. فكانت معيلة لأسرتها لمدة سنتين. ثم سافرت إلى بلد أوربي.

تقول يارا: "لا أبداً لن أعود إلى سوريا مهما كانت الأسباب. لو عادت مثل السابق ولو انتهت الحرب. أنا هنا إنسانة محترمة. صرت أحترم نفسي وأقدرها بعد أن عشت حياة قاسية مع زوج. يعمل يوماً ويقعد أياماً. كنت أجوع ولا أستطيع أن أعبر. كان يتفنن في إذائي وضربي والإساءة لي. بسبب أو دون سبب. لا أستطيع أن أدافع عن نفسي. ولا يمكن لأهلي أن يفعلوا شيئاً من أجلي. فهم فقراء

ومساكين، والتفكير بالطلاق محرم نهائياً، هذا نصيبي وكان علي أن أرضى به. لكنني اليوم في الجنة حقاً، أولادي في مدارسهم مع رعاية شاملة من جميع النواحي، مادياً ونفسياً وصحياً، تغيرت نظرتي للحياة والكثير من المفاهيم الخاطئة التي لقنوني إياها، باسم العادات والتقاليد والمجتمع والدين. أنا مسلمة، أقوم بعباداتي، ولا أحد يتابعني أو يراقبني، أذهب إلى المدرسة لتعلم اللغة، وأنوي أن أتعلم مهنة أعمل بها مستقبلاً، لا ينقصني شيء على الصعيد المادي، إلى جانب والرعاية والاحترام الكبير الذي أحظى به هنا، أنا اليوم أعرف ماذا أريد ولي هدف أسعى لتحقيقه، هل ما أحصل عليه قليل؟".

سوسن: الواصلة حديثاً إلى أوربا مع أولادها، تاركة زوجاً في المعتقل منذ ثلاث سنوات، ورغم مشقة الحياة في المخيمات، ورغم أنها تجربتها الأولى في الاعتماد على نفسها، لأول مرة تكون دون ولي أمرها، تقول:

الظروف صعبة في المخيم، أفتقد بيتي وأشيائي كثيراً، أفتقد عائلتي التي كانت ترعاني في غياب زوجي المعتقل، إلا أنني أرى سعادة أولادي وأرى الرعاية والاهتمام بهم. أصبح لديهم الكثير من الألعاب، خائفة عليهم من الغرباء هنا في المخيم، لا أفارقهم لحظة، نخرج معاً إلى السوق، ونستمتع بالطبيعة الجميلة هنا، يجب أن أصبر، هي مرحلة مؤقتة وسأكون في بيت مستقل مع أولادي. فقط حزينة من أجل أهلي وأتمنى أن يكونوا معي. لن أفكر بالعودة، لا شيء يغريني بعد أن وجدت نفسي هنا، لقد اعتمدت على نفسي وأنا أدير أموري وأمور أولادي، هنا لا أخاف من شيء. لم أعترف لأحد قبل الآن بأن علاقتي مع زوجي كانت سيئة للغاية، كان يضربني ويكيل لي الشتائم، وأنا أخفي ذلك عن الجميع، حتى أهلي.

كنت أخاف كثيراً من الطلاق في مجتمع قاس وظالم ولا يرحم، اليوم أتمنى أن يخرج سالماً من معتقله، كما أتمنى لجميع المعتقلين، لكني لن أكون معه أبداً، يكفيني ما تحملته".

رائدة، سعيدة مع زوجها وتتمنى أن يعودوا إلى سوريا، ولكن، هل ستلقى الرعاية والاهتمام بعائلتها وبابنها المعاق في سوريا ؟ تجاوب عن سؤالها: "أولادي سعداء في مدارسهم، ولا ينقصهم شيء، ابني المعاق يحظى برعاية فائقة واهتمام لم أحلم به يوماً ولا في الخيال، هنا لا نخاف أن نجوع في يوم من الأيام، لن أعود لأن مصلحة أولادي هنا".

المرأة هي الضحية الأولى لانتهاكات حقوق الإنسان في سوريا، سواء من قبل الأسرة أو الشارع أو المؤسسات الحكومية، أو نتيجة تواطؤ الفكر الذكوري وهيمنته على واقع المجتمع السوري، ولاحقاً الانتهاكات التي مورست من قبل النظام وميليشياته المسلحة وتأثرها الكبير على النزاعات الطائفية والسياسية والوضع الأمني الحالي.

الشرطيات في مصر..

هل هن قادرات على مواجهة التحرش والجريمة؟

إيمان عادل - القاهرة

في أول أيام عيد الفطر من هذا العام، ظهرت الشرطيات المصريات في الشوارع، لمواجهة ظاهرة التحرش الجنسي. تركز وجودهن بشكل كثيف أمام دور السينما، وعلى كورنيش النيل وبعض الحدائق العامة، الأماكن التي تشهد حالات تحرش جنسي، تزداد وتيرتها إلى الحد الذي يوصف "بالسعار الجنسي" في الأعياد والمناسبات.

فاجأ ظهور الشرطيات في الشوارع الكثيرين بسبب غيابهن المعتاد عنها، واقتصار وجودهن عادة على داخل المؤسسات الإدارية في الدولة، وأثار تساؤلات عن الغاية من ذلك، خصوصاً أن ما تقوم به المؤسسة الشرطية النسائية في مصر يقتصر على المعاملات التي تختص بالنساء كالتفتيش وغيرها.

كانت طريقة الشرطيات في مواجهة التحرش تتم على النحو الآتي: تدخل الشرطيات بصحبة قوة غير قليلة من الضباط والمخبرين إلى إحدى المناطق، يقمن بالهجوم مباشرة، والقبض على أحدهم من عروة قميصه مع شتائم بصوت مرتفع، مزودات بأسلحة متنوعة، ما بين صواعق كهربائية، وبيادات (عصي للضرب) وقوة جسمانية هائلة تمكنهن من ضرب أي متهم وتكسير عظامه.

لاقت الفيديوهات التي تم تداولها للشرطيات وهن يقمن بالقبض على المتحرشين استحسان الكثيرين على شبكات التواصل الاجتماعي. كما لاقت احتفاءً على المستوى الإعلامي في حملة وُصفت بالحميدة، وأن في مصر شرطيات "قويات" قادرات على التصدي لظاهرة متفشية كالتحرش "بيد من حديد". وباتت البرامج التليفزيونية تستضيف الشرطيات كنماذج للبطولة والقوة، مع نبرة فخر عالية. في المقابل اعترض البعض على طريقة تعامل الشرطيات أثناء القبض على المتهمين، خاصة على ذلك المشهد الذي تم تداوله لشرطية تقوم بصفع أحد المتهمين على وجهه، فضلاً عن توجيه شتائم قاسية تنال من عرض المتهم وشرفه، على أساس أن من يتجرأ على أعراض النساء في مصر، لابد وأن ينال تنكيلاً وتعريضاً بشرفه، كجزء من المعاملة بالمثل، لا على أساس أن القانون يُحرم انتهاك حقوق المتهم الإنسانية والمدنية! ربما لم يعلم الذين انبهروا بوجود شرطيات في شوارع مصر، أن تواجد الشرطيات بدأ بالفعل في مصر عام ١٩٨٤، حيث استعان بهن اللواء عبد الكريم درويش، رئيس أكاديمية الشرطة آنذاك. وكان انتشارهن وقتها داخلاً في الإدارات المتعلقة بخدمات الجماهير، كالمرور، والسجل المدني،

ومكافحة التسول، وداخل وسائل المواصلات، إلى جانب إدارة الرعاية الطبية، ورعاية الأحداث، والمؤسسات العقابية، ومكافحة جرائم الآداب، والرعاية اللاحقة، وميناء القاهرة الجوي، واستخدامهن في تدريب الطالبات الجدد، ثم ظهورهن مؤخراً في تأمين المدارس الخاصة بالفتيات.

وعلى الرغم من أن تلك المؤسسات تفتقد فعلياً لوجود ودور تلك الشرطيات، خاصة في جزئية التفتيش الخاص بالفتيات في تلك المؤسسات، وقيام الشرطي الرجل بهذه العملية في الأغلب، مما يعد انتهاكاً للخصوصية، ومخالفة للقوانين ولحقوق المرأة التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة عام ٢٠٠١، حين أكدت أن التفتيش الخاص بأدوات المرأة يكون عبر امرأة مثلها، وإلا فلا يصح تفتيشها احتراماً لها ولحقوقها، في المقابل ظهرت الشرطيات في الشارع لمكافحة التحرش بعدما احتجبن عن مهامهن الأصلية في الهيئات الإدارية في الدولة.

ليس هجوماً على وجود الشرطيات في الشوارع المصرية للتصدي لظاهرة التحرش، لكن السؤال: هل هن مؤهلات فعلياً للقيام بهذا الدور؟ وما نوع التأهيلات التي حصلن عليها ليكون أداؤهن على هذا النحو الذي يسيء إلى حق المتهم قبل التحقيق معه؟ وهل وقعت الشرطيات مصر في فخ الانتقام من فكرة كونهن إناثاً يقبضن على متحرش قد يكون قام بالتحرش بهن وهن يرتدين الزي المدني أو بالتحرش ببناتهن أو بأخواتهن؟ وهل يختلف أداء الشرطيات في مصر عن أداء

رجال الشرطة ممن يقومون بانتهاكات يومية بحق المواطنين في مصر وبحق المتهمين بجرائم، ليتم التبشير بوجودهن على هذا النحو الدعائي الواضح؟

الحقيقة أن التحليل النظري الواضح للفيديوهات التي تم تداولها، فضلاً عن تحليل خطاب إحدى الشرطيات في حوار معها أجرته الإعلامية المصرية منى الشاذلي يقول عكس ذلك. صحيح أن الإعلامية لم تخفِ انبهارها بالشرطية على مدار الحلقة، وأنه تم التعامل معها بنبرة بطولة عالية وواضحة، إلا أن أداء الشرطية غير مبشر على الإطلاق، سواء على مستوى الخطاب، أو على مستوى الأداء الذي تثبته الفيديوهات.

"يا قاتل يا مقتول"

هذه الجملة التي رددتها الشرطية في حلقة الإعلامية منى الشاذلي، ربما توضح الكثير، فقد قالتها الشرطية رداً على سؤال الإعلامية عن كيفية تعاملها مع المتحرشين، ردت الشرطية بهذه الجملة الموجزة الكاشفة "علاقتي بالمتحرش علاقة يا قاتل يا مقتول" بمعنى أقتله أو يقتلني. هذه الجملة يمكن أن نسمعها تتردد كثيراً بين المشاغبين بعضهم البعض، وبمعنى أدق بين "البلطجية"، أو بين عائلات الصعيد ممن لا يزالون يؤمنون بفكرة الثأر القبلي، وليس على لسان شرطية تؤدي مقتضيات القانون والدستور. وهو ما قد يفسر تورط الشرطية أولاً بالروح التي تعمل بها الشرطة في مصر بشكل عام، وهي روح عدائية عنيفة في الأغلب، يصل مصطلح القتل فيها لأن يكون مصطلحاً عادياً متداولاً، وثانياً تورطها كشرطية في مشاعرها كأنثى تجاه المتحرش، تصل هذه المشاعر حد الانتقام، وهو ما لا يجب أن ينبع من شخصية يفترض أن تكون حيادية تجاه المجرم، لأن القانون هو الذي يحكم في النهاية وهو الذي يعاقب وينتقم، وليس الشرطي أو الشرطية.

في غالب الظن أن الرسالتين الإيجابيتين من تواجد الشرطيات في مكافحة جريمة التحرش في مصر تكمنان: أولاً في الرسالة الضمنية للنساء في مصر (أن المرأة يمكنها أن تواجه المتحرشين، فهي ليست ضعيفة، ولا يجب أن تمضي بإحساس الضحية، مكبلة بكونها "أنثى"، إذ يمكنها أن تواجه وتتصدى لمن يتعرض لها، وثانياً في أن المرأة الشرطية يمكنها أن تخرج عن المنطقة الضيقة في مجال الشرطة الإدارية، لتكون ضمن منظومة شرطة مكافحة الجريمة، وذلك في حال تم تدريبها، وتأهيلها بما يتوافق مع المواثيق الدولية لمكافحة الجريمة، واحترام حقوق الإنسان.

يبقى دور منظمات المجتمع المدني فيما يخص مكافحة التحرش بالوعي جديراً بالنظر إليه ومحاولة تبنيه على مستوى مؤسساتي تابع للدولة، وليس فقط على مستوى جمعية أو اثنتين من تلك المعنية بحقوق المرأة. فالقضاء على ظاهرة التحرش يستوجب تنمية الوعي بتقدير المرأة جسداً وروحاً، والتعدي عليها بأي شكل يعتبر من المحظورات. يحتاج ذلك تبنياً حقيقياً من كل مؤسسات الدولة على نحو متكاتف، على مستوى التعليم، والإعلام، والقانون، والشرطة، والثقافة، وتبني مؤسسة واحدة التوعية والمكافحة، يحملها مسؤولية ثقيلة، تورطها رغماً عنها في الأخطاء، مثلما حملت الشرطة النسائية في مصر تلك القضية الكبرى على كاهلها لأيام معدودة في لحظة بطولة إعلامية وسقطت في أولى محاولاتها.

المرأة التونسية صراع مستمر في الحياة السياسية

مريم الناصري

ساهمت المرأة التونسية في مواقع متقدّمة من تاريخ السياسة التونسية في كل المحطات النضالية، فكانت رمزاً للنضال السياسي والاجتماعي، ووقفت في الصفوف الأولى مع الرجل منذ النضال ضد المستعمر وصولاً إلى الحراك الثوري في ثورة ١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١. وقد امتلكت المرأة كفاءات وخبرات، وشاركت بفعالية في كلّ القطاعات، فقد أظهرت إحدى الدراسات أنّ المرأة في تونس تمثل ٢٩% من القضاة، ٣١% من المحامين، ٤٢% من الأطباء، ٧٢% من الصيادلة، ٣٤% من الصحفيين، ٢١% من العاملين في القطاع العام و٤٠% من أساتذة التعليم العالي.

الحياة السياسة للمرأة التونسية

وضعت تونس أول دستور لها سنة ١٩٥٩، وقد تمّ تعديله أكثر من مرة آخرها عام ٢٠٠٢، وتناول في فصليه السادس والسابع المتعلّقين بالحقوق والحريات مبدأ المواطنة والمساواة، فكلّ المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات.

وحسب القانون التونسي، فإن النّساء مثل الرجال يحق لهنّ الترشح والانتخاب، حيث يساوي القانون في تحديده لشروط الترشح لعضوية مجلس النواب بين النسب للأم والنسب للأب.

كما دعمت مجلة الأحوال الشخصية (وهي مجلة لتنظيم حقوق النساء) التي صدرت بمقتضى أمر مؤرخ في ١٣ آب/ أغسطس ١٩٥٦ حقوق المرأة التونسية منذ الاستقلال بحقوق هامة، حيث أعطت النساء حقوقاً متساوية مع الرجال في الأحوال الشخصية، وأدخلت إصلاحات هامّة على المجلة منذ عام ١٩٩٣، بما يدعم وضع المرأة ومشاركتها في صنع القرار في مستوى العائلة.

وقد تقلدت المرأة التونسية منصباً وزارياً لأول مرّة سنة ١٩٨٣، حين كلف رئيس الجمهورية الراحل الحبيب بورقيبة وزيرة لشؤون المرأة والعائلة، لكن هذه الوزارة لم تدم أكثر من ثلاث سنوات، إذ تمّ إلغاؤها بعد أن عزلت الوزيرة المكلفة بها سنة ١٩٨٦، ليتمّ إحداث وزارة العائلة والمرأة من جديد سنة ١٩٩٣ ، ودائماً كانت تتولى هذا المنصب امرأة.

ورغم إحداث جملة من الإصلاحات السياسية منذ عام ١٩٩٣، إلا أنّ تواجد النساء في الحكومة بقي ضعيفاً، إذ نجد سنة ٢٠٠١ وزيرتين فقط من بين ٢٩ وزيراً، أي بنسبة ٩,٢٥%، أما في ٢٠٠٤ وبعد التعديل الوزاري أصبح عددهن في الحكومة ٧ نساء من بين ٤٧ عضواً في الحكومة، ليتراجع العدد في آخر حكومة قبل ثور ١٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١١، إذ ضمت حكومة ٢٠٠٩ وزيرة واحدة من أصل ٣٠ وزيراً و٤ كاتبات دولة من أصل ١٣ كاتباً للدولة.

ولم تصل المرأة في المقابل إلى رئاسة الحكومة ولا إلى وزارات السيادة مثل الدفاع، الداخلية أو الخارجية، ولا إلى وزارات الاقتصاد والمالية، بل بقيت تدير وزارات ذات صبغة اجتماعية متصلة بأوضاع العائلة والأطفال والشيوخ أو النهوض الاجتماعي.

وفي هذا الإطار تشير "بسمة السوداني" رئيسة رابطة الناخبات التونسيات أنّ "المرأة التونسية ساهمت بشكل كبير في الحياة السياسية منذ الاستقلال وصولاً إلى دورها في إنجاح ثورة ١٤ يناير". مضيفة أنّ "المرأة التونسية ستواصل عملها ونضالها لتقود ثورة اجتماعية وسياسية في الجمهورية الثانية."

على صعيد آخر أكدت "السوداني" أنّ "نضال المرأة لفرض نفسها في الساحة السياسة مستمر رغم عدم احتلال النساء لمناصب في مواقع القرار السياسي أو غيره بالرغم من تميز المرأة التونسية في مختلف المجالات، والتي كانت فيها رائدة وسباقة بالمقارنة مع شعوب عربية أخرى."

تواجد المرأة في البرلمان التونسي

تكون البرلمان التونسي قبل الثورة من هيئتين هما: مجلس المستشارين الذي يضم ١١٢ عضواً بمن فيهم ممثلو الحكومة، والأعضاء المعينون من قبل رئيس الجمهورية. وضم ١٧ امرأة سنة ٢٠٠٤ بما يمثل نسبة ١٥,٢%. أما في انتخابات ٢٠٠٩ فقد ضم مجلس المستشارين ١٥ امرأة من أصل ١١٢ أي بنسبة ١٥,١٨ .%

في المقابل يتكون مجلس النواب من ٢١٤ عضواً منتخباً عن طريق الاقتراع العام المباشر. وقد حظيت المرأة التونسية بحق التصويت وخوض الانتخابات منذ سنة ١٩٥٩، وفي العام ذاته تم انتخاب أول امرأة في مجلس النواب .

لكن دور المرأة التونسية في البرلمان بقي شبه معدوم رغم ارتفاع النسبة من ١% سنة ١٩٥٩ إلى ٥,٦% سنة ١٩٨٦، تراجعت هذه النسبة إلى ٤,٣% سنة ١٩٨٩، وبقيت النتائج ضعيفة، لذلك شكلت لجنة خاصة بالمرأة في العام ٢٠٠٧ من صلب مجلس النواب، تتمثل مهمتها في السهر على تعزيز حقوق المرأة وتحقيق تمثيل أفضل للنساء البرلمانيات داخل الهيئات السياسية الوطنية والدّولية، مما جعل نتائج آخر انتخابات قبل الثورة، والتي أجريت سنة ٢٠٠٩، تشهد قفزة نوعية بوصول ٥٩ امرأة للبرلمان أي بنسبة ٢٧,٥٩%. فيما شغلت امرأة منصب نائبة ثانية لرئيس مجلس النواب، وترأست امرأة أخرى لجنة التشريع العام سنة ٢٠٠٩.

في مرحلة ما بعد الثورة التونسية، واصلت المرأة الكفاح في المنابر السياسية للحفاظ على مجلة الأحوال الشخصية، وتكريس الحقوق والمكتسبات، والمطالبة بالمساواة تشريعياً وواقعياً خاصة في مجال المشاركة السياسية، من خلال المطالبة بأن تكون المرأة في مواقع الريادة في الأحزاب السياسية، وفي صدارة القوائم الانتخابية، وأن تمارس العمل السياسي عبر تقلد مناصب ومسؤوليات عليا في الدّولة. لكن تواجد المرأة في الحكومات المتعاقبة بعد الثورة بقي ضعيفاً، فخلال انتخابات ٢٠١١ حظيت المرأة التونسية بـ ٤٩ مقعداً في المجلس التأسيسي أي بنسبة ٢٤%، في المقابل حظيت بعد انتخابات ٢٠١٤ بـ ٦٨ مقعداً أي بنسبة ٣٥%. وقد تحصلت تونس على جائزة المنتدى العالمي للنساء البرلمانيات لسنة ٢٠١٥، وذلك لتصدر المرأة التونسية للبلدان العربية بمشاركتها في البرلمان والحياة السياسية بنسبة مشاركة تفوق ٣٠.%

وبشأن تقييمها لمشاركة المرأة في البرلمان تقول النائبة عن حركة نداء تونس ورئيسة لجنة الحقوق والحريات "بشرى بالحاج حميدة" إنّ "هناك زيادة في عدد النائبات مقارنة بالبرلمان السابق، وذلك بسبب اعتماد مبدأ التناصف الأفقي في قانون الانتخابات". لكنها تشير أنّ "نسبة النائبات في البرلمان كانت لتكون أكبر لو تم اعتماد مبدأ التناصف العمودي أو فرض حصة محدّدة للنساء في البرلمان."

على صعيد آخر أكدت أنّ "المرأة التونسية قادرة على تقلد كل المناصب حتى السيادية منها، سيما وأنّها أثبتت نجاحها في كل المجالات التي خاضتها، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية على حدّ السواء. مضيفة أنّ المرأة التونسية ستواصل حفاظها على المكاسب التي حققتها طيلة عقود، بل وستعمل على تعزيزها ."

ورغم أنّ هذا النجاح فرض حضور المرأة في الحياة السياسية، إلا أنّه كان حضوراً محتشماً خلال تشكيل الحكومات المتعاقبة على تونس بعد الانتخابات، فحكومة الترويكا التي تشكلت من ٤٨ عضواً أسندت ٣ مناصب وزارية فقط لسيدات، وهو ذات الأمر بالنسبة لحكومة مهدي جمعة التي أسندت بدورها ٣ مناصب فقط للعنصر النسائي. ورغم أنّهن ساهمن بشكل كبير في صياغة الدستور الجديد للبلاد التونسية، ورغم إقرار مبدأ المساواة بين الجنسين في الدستور، والنص فيه على أن "تلتزم الدولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة، وتدعم مكاسبها وتعمل على تطويرها"، ورغم ضمان الدولة "تكافؤ الفرص بين الرّجل والمرأة في تحمّل مختلف المسؤوليّات وفي جميع المجالات، فقد بقي حضور المرأة التونسية في الساحة السياسية دون المستوى المطلوب، وتحديداً في قوائم المترشحين للانتخابات البرلمانية القادمة. ففي انتخابات ٢٠١٤ بلغت نسبة النّساء المسجلات في الانتخابات أكثر من ٥٠%، فيما بلغ عدد المترشحات حوالي ٤٧%، ١٢ فقط منهن ترأسن قائمات انتخابية، كما شاركت تونسية واحدة فقط ٢٦ مترشحاً في السباق نحو قصر قرطاج.

وقد بلغت نسبة تمثيل المرأة في البرلمان التونسي بعد انتخابات ٢٠١٤ حوالي ٣١%، فيما ضمت حكومة الصيد وزيرتين و٥ كاتبات دولة.

الاغتصاب: سلاح الدمار الشامل في سوريا

2/1

إعداد: آنيك كوجان(Annick Cojean)
ترجمة: د. إنعام شرف
المصدر: صحيفة اللوموند الفرنسية- الشرق الأوسط(Le Monde-Proche Orient)

يعد الاغتصاب من الجرائم الأبشع على الإطلاق، والأكثر شيوعاً اليوم في سوريا. جريمة مدمرة يرتب لها النظام وينفذها بأكثر الطرق وحشية. والمشكلة الحقيقية في هذا الموضوع أن الاغتصاب يدخل في إطار الموضوعات المحرمة، لا سيما داخل المجتمعات السورية المحافظة التي تفرض على ضحاياه تفضيل الصمت والكتمان، وذلك خوفاً من الرفض الاجتماعي، وفي كثير من الأحيان، من القتل.

أم محمد، ٤٥ عاماً، تم اختيارها بشكل عشوائي
سلمى، لاجئة في مخيم الزعتري
ليليان، ٢٨ عاماً، حالياً طالبة في عمان
أم زهير التي تستقبل ضحايا الاغتصاب، منفية وتعيش في عمان منذ ٣٠ عاماً .

لقد بات الاغتصاب أحد أسلحة الحرب التي يوظفها بشار الأسد ضد شعبه، وهدفه من توظيف هذا السلاح هو تدمير الأسرة وتفكيك المجتمع السوري. وبسبب شيوع هذه الجريمة في سوريا، ولا سيما منذ بدايات الثورة في العام ٢٠١١، نزح آلاف السوريين من مدنهم وهجروا بيوتهم وآثروا العيش في المنفى. محققو منظمة الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية، بذلوا الكثير من الجهد لتوثيق جرائم الاغتصاب في سوريا، والقصص التي سمعوها وقاموا بتوثيقها، والتي مازالت إلى اليوم غائبة عن مناقشات جنيف، قصص مؤلمة جداً ويكاد القلب ينفطر لسماعها .

ألما، ذات السبعة والعشرين ربيعاً (أسماء الضحايا الواردة في هذه المقالة، جميعها مستعارة)، ممددة، هزيلة، على سرير في أحد المستشفيات وسط عمان. فقدت القدرة على المشي بسبب كسر في عامودها الفقري، هذا الكسر ناجم عن الضربات التي تلقتها ببندقية أحد العناصر التابعة لميليشيا النظام. "ألما" أمّ لأربعة أطفال وحاصلة على شهادة في الإدارة، لكنها ومنذ الأشهر الأولى للثورة، اتخذت قرارها بأن تكون إلى جانب الثوار. لا إلى جانب النظام. وبدأت نشاطها الثوري بتوفير الغذاء والدواء، ومن ثم نقل وتهريب الذخيرة عن طريق وضعها في صرة من القماش ولفّ هذه الصرة على بطنها مدعيةً أنها حامل لتمر بسلام على حواجز النظام .

"أهذه الحرية التي أردتها؟ إليك بها إذن."

وفي أحد الأيام، تم توقيفها على أحد حواجز النظام في إحدى ضواحي دمشق العاصمة، وبقيت ٣٨ يوماً مسجونة في أحد مراكز المخابرات الجوية، محاطة بمئات السجينات .

وبابتسامة تكاد لا تراها، تقول ألما: "أبو غريب، مقارنةً بالسجون السورية، يعد بالنسبة لي الجنة"، وهي تلمح بذلك إلى سجن أبوغريب الأميركي في العراق. وتتابع قائلةً: "لقد رأيت وعشت كل شيء! الضرب، الجلد بالأسلاك المعدنية، إطفاء السجائر على الرقبة، تمرير شفرات الحلاقة على جسدي والصعق بالكهرباء في المهبل. كل هذا في جهة والاغتصاب الذي تعرضت له في جهة أخرى ـــ العيون معلقة في الفراغ ـــ كل يوم ومن قبل العديد من الرجال الذين كانت تفوح منهم رائحة الكحول والذين كانوا ينفذون أوامر وتعليمات رؤسائهم، الحاضرين دائماً على المشهد. ويصرخون قائلين: "هل هذه هي الحرية التي أردتها؟ إليك بها إذن ."

تشرح ألما بحسرة، أن جميع النساء اللاتي التقتهن في السجن، كنّ يعتقدن بأن عائلاتهنّ سوف تقتلهنّ فيما لو أطلق سراحهنّ. وتقول بأن كل العذاب الذي عاشته في المعتقل، لم يجعلها تغير رأيها بالثورة، لا بل زادها تصميماً على المضي قدماً مع الثوار والانضمام إلى صفوف الجيش الحر. وعندما تم إطلاق سراحها، أصبحت من القلة النادرة من النساء اللاتي أصبحن قادةً للفصائل العسكرية المعارضة، وكانت تترأس فصيلاً يضم ما يزيد عن العشرين جندياً مقاتلاً ضد النظام، وذلك قبل تعرضها لإصابة خطيرة ونقلها إلى الأردن لتلقي العلاج .

المئات من السوريين نزحوا إلى الأردن، وفي عمان تمكنا وبفضل الأطباء والمحامين والمعالجين النفسيين، من جمع العديد من الشهادات وإجراء التقاطعات بينها، وتمكنا أيضاً بفضل هؤلاء أن نجري لقاءات وجهاً لوجه مع الكثير من ضحايا العنف والاغتصاب في سوريا. ولا بد لنا من الإشارة إلى أن هذه اللقاءات كانت مؤلمة جداً، وإلى أنها كانت تجري تحت شعور بالضغط الكبير: "حياتي بين أيديكم"، تقول إحدى الضحايا .

"اعتقال الأباء والأخوة والأزواج"

في إحدى مقابلاته، يقول برهان غليون، رئيس المجلس الوطني السابق وعضو ناشط ومؤثر في المعارضة السورية: "لقد حان الوقت للتنديد علناً

بهذه الفضيحة! لأن هذا السلاح في اعتقادي، هو الذي يجعل الثورة تحيد عن مسارها الذي أريد له أن يكون سلمياً."

ويكمل برهان غليون شارحاً أنه ومنذ انطلاق الثورة في ربيع العام ٢٠١١، بدأت ميليشيا النظام بتنظيم حملات مداهمات على البيوت ومهاجمة الأسر واغتصاب النساء أمام أعين الأزواج أو الآباء والأخوة. وهذا ما جعل الرجال يصرخون بأعلى أصواتهم بأنهم سينتقمون لشرفهم ويقتلون كل من مسّ أعراضهم بسوء. "كنت أفكر، أنا شخصياً، بأنه علينا أن نفعل أي شيء وأن نبذل أقصى جهدنا كي لا ندخل في عسكرة الثورة، وكنت أؤمن بأن تسليح الثورة سيؤدي إلى مضاعفة أعداد الضحايا والقتلى. لكن ممارسة العنف والاغتصاب من قبل ميليشيا النظام، حوّل مسار الثورة بالكامل، ولم يكن بمقدورنا فعل أي شيء حيال ذلك. وأعتقد أن بشار الأسد لطالما رغب بذلك. تسليح الثورة بالنسبة له، يعني تقديم مبررات أكبر وبسهولة أكثر لجرائمه وفظائعه التي يرتكبها ضد الشعب، تحت مسمى محاربة الإرهابيين والمتطرفين."

من الصعب التحقق من هذا الطرح، لكن ما هو مؤكد ولا من مجال للشك فيه، هو أن العنف ازداد وتضاعف في سوريا، خاصةً العنف الجنسي الذي ساهم كثيراً في نشر جو من الرعب والهلع لدى السوريين. وفي شهادة تندد من خلالها بموضوع العنف الممارس ضد المرأة في سوريا، تقول الكاتبة سمر يزبك، اللاجئة في فرنسا: "لقد أصبحت المرأة تستخدم كأداة للوصول للأب والشقيق والزوج، وبات جسدها مستباحاً وساحةً للتعذيب والقتال. وصمت المجتمع الدولي حول هذه القضية، يقتلنا."

وعلى الرغم من قيام العديد من المنظمات الدولية بتوثيق جرائم الاغتصاب المرتكبة من قبل ميليشيا النظام، كمنظمة العفو الدولية ولجنة الإنقاذ الدولية والاتحاد الدولي لحقوق الإنسان، Human Rights Watch، إلاّ أن استحضار الشهادات المباشرة وصمت الضحايا والخوف من جرائم الشرف التي يمكن أن ترتكب بحق النساء المغتصبات، يبقى أمراً في غاية الصعوبة والتعقيد، خاصةً وأن هذا الموضوع بات يشكل قلقاً كبيراً لدى الكثير من النساء، بسبب انتشار الصورة النمطية عن أن كل امرأة تم اعتقالها من قبل النظام، تعرضت بالضرورة للاغتصاب.

في شهر تشرين الثاني من العام ٢٠١٣، نشرت الشبكة الأورو متوسطية لحقوق الإنسان، تقريراً موثقاً بصورة جيدة جداً، يؤكد حجم انتشار هذه الظاهرة. وطالب القيمون على التقرير بفتح تحقيق دولي عاجل حول جرائم الحرب، التي فيما لو ثبت التخطيط لها، سيتم تصنيفها على أنها جرائم ضد الإنسانية. وتؤكد سيما نصار، وهي مساهمة رئيسية في إعداد التقرير، ولديها اثنتان من شقيقاتها في سجون النظام: "لقد جعل النظام من النساء هدفاً أولياً له، وأصبحن مستهدفات من قبل القناصة، خاصةً النساء الحوامل. ويستخدمن كدروع بشرية، كما حصل في حي عشيرة في حمص، في شباط ٢٠١٢ عندما قامت قوات النظام بإجبار النساء على المشي أمام الجنود أو جعلهن يدخلن في الدبابات أثناء الجولات الدورية في الأحياء. والنساء يمثلن اليوم أيضاً في سوريا سلعةً للخطف والتبادل والحصول على فدية. وتتعرض الكثيرات منهن للاغتصاب بشكل ممنهج، سواء كنّ في عمر التسع سنوات أو الستين سنة، وهذا أصبح وسيلةً من وسائل النظام السوري، التي يستخدمها لتدمير النسيج الاجتماعي بالكامل.

تجدون المقال الأصلي على الرابط التالي:
http://www.lemonde.fr/proche-orient/article/2014/03/04/syrie-le-viol-arme-de-destruction-massive_4377603_3218.html

رمزية الحجاب عبر التاريخ

سامر مختار

مازالت قضية الحجاب تأخذ حيزاً مهماً داخل مجتمعاتنا العربية، ومازالت هناك شريحة داخل كل مجتمع عربي تنظر إلى المرأة غير المحجبة نظرة ازدراء، وتصفها "بالسافرة".

وإذا كان الواقع اليوم يشير إلى النظر للحجاب على أنه رمز ديني، تختص به المرأة المسلمة، إلا أن فكرة الحجاب وجدت قبل الإسلام والمسيحية واليهودية. وهذا ما يشير إليه كتاب "الحجاب في التاريخ". للكاتب الأردني أيوب أبو ديّة، والصادر عن دار الفارابي – لبنان ٢٠١٢ م.

ينطلق كتاب "الحجاب في التاريخ" من المجتمعات البدائية صعوداً تاريخياً حتى يوصل بنا إلى بلاد ما بين النهرين خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد. كما يشير إلى جذور الحجاب في حضارة سومر، ثم الأكديين، وما تبعها من حضارات آشورية وبابلية، مروراً بالحضارة المصرية القديمة، والحضارات الآسيوية، وصولاً إلى الحضارة الإغريقية ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد ولغاية "هيمنة الحضارة الرومانية عليها ودخولها في المسيحية فيما بعد في زمن الملك قسطنطين".

يتناول الكاتب في حديثه عن المجتمعات البدائية رؤية فريدريك إنجلز في كتابه "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة". إذ يرى إنجلز في الفصل الثاني من الكتاب (أن هيمنة الرجل على العائلة كانت تتويجاً لدخول الإنسان مرحلة الحضارة. فقد عبّرت هذه المرحلة عن انتماء الأبناء إلى أب واحد، وبالتالي انتظمت مسألة الإرث، حيث حُصرت في أبناء شرعيين غير مشكوك في نسبهم، وقد تطلبت هذه المرحلة الحجر على المرأة حتى يضمن الأب أن الأبناء هم من سلالته الموثوقة).

ويرى الكاتب أن هذا الانتقال التاريخي إلى المرحلة الجديدة يفسّر لماذا كانت آلهة الإغريق الأنثوية أكثر احتراماً وإجلالاً وأوسع نفوذاً من المرأة الإغريقية في الفترات اللاحقة (عصر سقراط وأفلاطون وأرسطو) عندما حرمت من حقوقها وأصبحت جزءاً من الملكية الخاصة بالرجل.

مما ساعد أيضاً في اضطهاد المرأة الإغريقية، وجود العبيد والجواري بوصفهم من الملكية الخاصة بالرجل، الذي أصبح يتمتع بجواريه، فيما اقتصرت علاقة الزوجة الإغريقية على رجلها فقط، وحجرت في البيت تحت الحراسة ومنعت من الخروج، إلا برفقة إحدى الجواري أو بصحبة واحد من أهل بيتها من الرجال كمُحرم. وكان الرجال يضيقون الخناق على زوجاتهم وبناتهم بوضع كلاب لحراستهن، كي يبعدوا عنهن المتطفلين والمعجبين.

وفي فصل جاء بعنوان "من السومريين إلى الأكديين – الألفية الثالثة قبل الميلاد" يشير المؤلف إلى الفترة التي تفصل بين العصر السومري الأول والعصر السومري الذهبي الثاني، الذي بدأ مع نهاية الألفية الثالثة ق.م، نجد شعر النساء يبدو متموجاً ومزيناً بعمامة مدورة تشبه العصابة السميكة. ويرى المؤلف أن عصابة الرأس بدأت تشق طريقها صوب تاريخ المرأة بارتباطها مع الحجاب، لكن العصابة كانت تعبيراً مختلفاً عما يراد بها اليوم. وفيما يخص البابليين يقول: "تصور البابليون نحو عامي ٢٢٠٠- ٢١٠٠ ق.م آلهتهم مع عصابة على شعرها، فآلهة الشمس البابلية تبدو وشعر رأسها منسق بديع تطوقه عصابة.

ويبدو لنا أن هذه العصابة استعملت لتجميل الشعر في تلك الفترة من التاريخ القديم. لقد أخذنا نقترب شيئاً فشيئاً من غطاء الرأس. لقد كانت هي البداية صوب إحكام الغطاء حول الشعر". أما الحجاب عند الآشوريين (١٢٥٠ – ٦٠٠ ق.م) فكان يصنّف الطبقة التي تنتمي إليها المرأة، فالملكة تلبس التاج، كالملكة آشورشرات، زوجة الملك آشور بانيبال، فيما كانت الوصيفات وحاشية الملكة يبدين مجردات من زينة الشعر ويكتفين بتصفيفة مألوفة له. أما النسوة الأحرار فكن يرتدين عباءة تسفر عن الوجه فقط، وذلك عند الخروج إلى الشارع، فيما فرض على الإماء السفور، لتمييزهن عن النسوة الحرائر. لذلك يمكن القول إن وظيفة الحجاب في تلك الفترة

كانت بغرض التصنيف الطبقي للنساء.

لكن المرأة تستعيد أهميتها التاريخية من جديد عند البابليين (٦٠٠ – ٥٣٩ ق. م)، فآلهة الأمومة "مامي" هي الأرض والتربة الخصبة،

ويعادلها عند الكنعانيين "عشيرة". كانت الأرض هي الأم ومركز الحياة الروحية والعبادة، وهذه الاعتقادات كانت سائ دة عند حضارات الهنود الحمر في جنوب أميركا. لقد استردت النسوة أهميتهن التاريخية من جديد مع انهيار الحكم العسكري الآشوري.

ارتدت نساء بابل الثياب الفضفاضة الغنية بألوانها، وتفاخرن بحبهن لمسرات الحياة ولذائذها، وتزينَّ باللآلئ والجمان، وحسرن عن أكتافهن في أيام الأعياد.. هذا التغير المهم ربما نستطيع أن نربطه بالاستقرار والرفاهية والأمن والميزات الأخرى التي تمتعت بها الحضارة البابلية في تلك الفترة حسب ما ورد في الكتاب.

أما في حضارة مصر القديمة فقد حظيت المرأة بتكريم واحترام كبيرين، وكانت النسوة يتمتعن بحق الملكية والتوريث ويخرجن إلى الأسواق سافرات، وكان الزوج يتنازل عن جميع أملاكه لزوجته عند اقترانه بها.

ترد في الكتاب قصة مقتبسة من كتاب "تطور المرأة عبر التاريخ" لباسمة كيّال، مضمونها أنه عندما قام هيرودوت، المؤرخ والرحالة اليوناني، بزيارة مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، اندهش من حياة المرأة المصرية وتحررها واختلاطها بالناس. ومن يقرأ المنقوشات الفرعونية التي كتبت عام ٢٨٠٠ ق. م يندهش من الحقوق التي كانت تتمتع بها المرأة المصرية، وهي قريبة من شرائع حمورابي. ويرى المؤلف بأنه لم يكتب في التاريخ عن تقلص دور المرأة المصرية وانحسار نفوذها والتعصب ضدها إلا عندما غزا الهكسوس مصر وأدخلوا التقاليد الأبوية إليها، فيما أشاعوا الرعب والخوف وعدم الاستقرار في أرجاء مصر كافة. مضيفاً بأنه عندما شاع الغزو والحرب في المجتمعات البشرية حدث تغير جوهري على صعيد الدور الاجتماعي للمرأة.

وتحدث المؤلف أيضاً عن الحضارات الآسيوية لكن بشكل مختصر، واقتصر حديثه فقط على المرأة الصينية والهندوسية. إذ يقول بأن المرأة الصينية كانت تُعامل كالرقيق، لا حقوق لها، بل كان للزوج الحق في دفنها حية دون أي اعتراض. وقد ساهم في ترسيخ تلك المعتقدات آراء كونفوشيوس الحكيم، الذي أكدت تعاليمه على ديمومة هذه المفاهيم وبقاءها. ولم تكن النساء الهندوسيات أفضل حظاً، فكن يخدمن كُهان المعابد قبل الزواج وبعده، كذلك اعتبرن جزءاً من الغنائم الحربية.

ويورد المؤلف فيما يخص الحجاب عند المرأة الهندوسية أنها عرفته حوالي القرن الرابع قبل الميلاد. ويأتينا الدليل من أحد النصوص الأدبية التي يأمر فيها الملك "راما" زوجته "سيا" أن ترفع حجابها حتى تراها الحشود مجتمعة أمام قصره. فلا غضاضة من رؤية وجه النسوة عند التضحية (أثناء العبادة)، وأثناء حفلات الزفاف، أو عند وقوع المصيبة، أو حين

يكن في الغابات، وذلك حفاظاً على حياتهن وطلباً لوضوح الرؤية.

كما يروي المؤلف أن هناك أوامر صارمة في ديانة "مانو" خاصة، وفي الشرائع الهندوسية عامة، تتمثل في ألا تبحث المرأة عن الاستقلال أبداً، وأن تطيع زوجها ووالدها طاعة عمياء. وينوّه الكاتب بأن هذه الإيدلوجية شبيهة بما أنتجه فكر فلاسفة الإغريق لتسويغ عبودية المرأة فلسفياً.

أما في الحضارة الإغريقية، فيقول المؤلف أن معاملة المرأة كانت تتفاوت بين مملكة وأخرى، ففي أثينا وأيونيا، على سبيل المثال، لم يسمح للنساء بمغادرة البيت أو مجالسة الرجال، وكنّ محرومات من القراءة والثقافة العامة، ومن الإرث، إذ اعتبرهن الإثينيون محض ممتلكات خاصة ورجساً في الأماكن العامة إلا وهنَّ محجبات.

ويورد المؤلف في الكتاب وصف ديكايرش حجاب نساء طيبة، وهي مدينة من مدن اليونان، قائلاً: "كن يلبسن ثوبهن حول وجههن بطريقة يبدو معها هذا الأخير وكأنه غُطِّي بقناع، فلم يكن يرى منهن سوى العينين".

تنحصر أهمية الكتاب في رحلة التقصي عن جذور الحجاب، التي دفعت بالمؤلف للاستعانة ببعض المراجع العربية وغير العربية. إلا أن الكتاب جاء مختصراً جداً (٩٤ صفحة من القطع المتوسط)، إضافة إلى أن أسلوب التناول (التوثيقي المختصر) لفكرة الحجاب في التاريخ، تكاد تكون أشبه بتحقيق صحفي طويل.

والمفاجأة تكمن فيما جاء في مقدمة الكتاب، من أن ما دفع الكاتب لتناول هذا البحث هو "اشتداد أهمية مسألة الحجاب في أوروبا بعد أحداث ١١ سبتمبر/ أيلول الشهيرة"، أي ليس باعتبارها قضية اجتماعية، داخلية أكثر منها خارجية، ومرتبطة بتأويلات دينية.

إلا أنه من الجيد الإشارة إلى فكرة "الحجاب" ما قبل الإسلام، فهذا بإمكانه أن ينزع ملكية الفكرة، وارتباطها فقط بالدين الإسلامي.

لا تمر قبل أن تقرأها... أهم عشرة كتب نسوية

ترجمة: رهف موسى
شبكة المراة السورية

حازت الكتابة النسائية على اهتمام كبير منذ بدايات ظهورها، وحاول الكثيرون تمييزها عن الكتابة بشكل عام، وسبغ طابع خاص عليها، يرتبط بالأنوثة وسماتها، بغض النظر عن الناحية الجمالية للكتابة. ورغم ذلك انتشرت العديد من الكتابات بأقلام نسائية حول هذا الموضوع، لعبت دوراً كبيراً في إلقاء الضوء على هذا النوع من الكتابة، وفيما يأتي استعراض لأهم تلك الكتابات:

اللغز الأنثوي، بيتي فريدان

مؤلفة هذا الكتاب هي زعيمة حركة تحرير المرأة في أمريكا في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. خاضت "فريدان" العديد من المعارك دفاعاً عن حقوق المرأة، أهمها المطالبة بمنح المرأة حقوقاً متساوية مع الرجل في العمل والمناداة بالحقوق الانتخابية الكاملة للمرأة.

التحقيق الذي قامت به "فريدان" عام ١٩٦٣ في "المشكلة التي ليس لها اسم"، والتي يقصد بها حالة الرضى بالتعاسة المنتشرة بين ربات البيوت، هو أحد الكتب الأقوى تأثيراً في القرن العشرين، ويعزى إليه الفضل في تحفيز الموجة النسوية الثالثة في الولايات المتحدة.

كتاب "اللغز الأنثوي" مترجم للغة العربية، وصادر عن دار الرحبة.

النسوية للجميع، بيل هوكس

"بيل هوكس" هي ناشطة نسوية واجتماعية أمريكية، تركز في كتاباتها على العرق والجنس والرأسمالية، وعلى ما تصفه بقدرة هذه العوامل على إنتاج نظام قمعي ذو سيطرة طبقية والحفاظ عليه.

كتبت "هوكس" الكثير من الكتب التي تصلح لهذه القائمة، لكن هذا الكتاب يعتبر تمهيدياً نوعاً ما للحركة النسوية، أو على الأقل هو تفسيرها للحركة. تنادي"هوكس" بنسوية تكسر الحواجز، فقد كتبت: "سياسات النسوية الحقيقية غالباً ما تنقلنا من العبودية إلى الحرية، من العزلة إلى الحب.. من المستحيل أن يوجد الحب دون عدالة".

غرفة للمرء وحده، فرجينيا وولف

"فرجينيا وولف" هي أديبة إنجليزية، اشتهرت بروايتها التي تستهدف الضمير الإنساني، كتبت العديد من الروايات والكتب النقدية والمقالات.

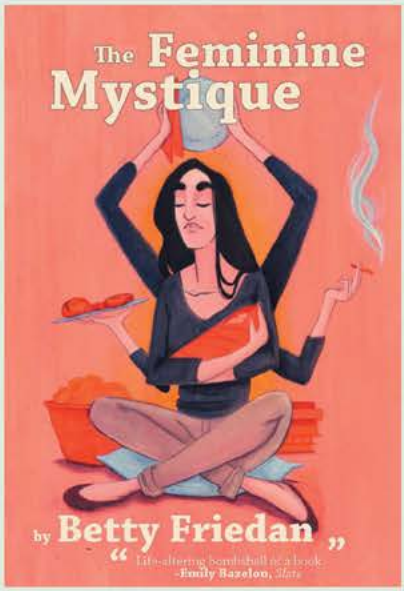

"غرفة للمرء وحده" للكاتبة "وولف" هو كتاب كلاسكي آخر ننصح به. هذا الكتاب هو عبارة عن مقالة مطولة تستكشف العلاقة بين المرأة والكتابة، وهو موجه لجميع أنواع القراء تقريباً. ويبدو أن قائمة متابعي قصة "وولف" هذه تقتصر تقريباً على الرجال، لذا قد يكون هذا الكتاب بداية جيدة للشباب المتحمسين لمعرفة المزيد عن النسوية. هذا الكتاب مترجم للعربية بنسختين: إحداهما صادرة عن دار المدى، والأخرى عن مكتبة مدبولي.

أسطورة الجمال، نعومي وولف

مؤلفة هذا الكتاب هي كاتبة أمريكية ومستشارة سياسية سابقاً، وبعد إصدار هذا الكتاب أصبحت المتحدثة الأهم باسم الموجة الثالثة للحركة النسوية. ألفت "نعومي" العديد من الكتب الأخرى التي لاقت صدى واسعاً.

هذا الكتاب المنشور عام ١٩٩١، والذي يشرح العلاقة بين المكانة الاجتماعية المتزايدة للنساء ومطالب المجتمع لهن لتتوافقن مع معايير محددة من الجمال، يتناول موضوعاً ذا أهمية كبيرة اليوم بقدر أهميته قبل ٢٠ عاماً. للأسف، لم يتغير الكثير في هذا المجال منذ ذلك الحين. كتبت "بيتي فريدان" في مجلة إليور: "إن كتاب

(أسطورة الجمال) والجدل الذي أثاره قد يكون بادرة أمل لموجة جديدة من الوعي النسائي".

الأخت الدخيلة، أودري لورد

واحد من أكثر الأصوات تأثيراً في الحركة النسوية، تظهر في هذه المجموعة ١٥ مقالة ومجموعة من الخطابات التي كتبتها الناشطة في منطقة البحر الكاريبي للولايات المتحدة "أودري لورد". نشطت "لورد" في المجالين النسوي والاجتماعي، وواجهت في نشاطها الكثير من النقد والمساندة كذلك. ربما تتحدى لورد القارئ هنا في "التحول من الصمت إلى اللغة والعمل". تقول لورد: "أنا أحد أوجه مخاوفك، لأنني امرأة ولأنني سوداء ولأنني مثلية، لأنني نفسي.. امرأة شاعرة سوداء محاربة أقوم بعملي.. الآن دوري بأن أسألك: هل تقوم بعملك؟".

الجنس الآخر، سيمون دوبوفوار

"سيمون دوبوفوار" هي كاتبة ومفكرة فرنسية، وكذلك ناشطة سياسية ونسوية. كتبت "دوبوفوار" العديد من الروايات والمقالات والدراسات الفلسفية والسياسية والاجتماعية، وارتبطت بعلاقة طويلة المدى مع "جان بول سارتر"، وعملت معه كمحررة في الجريدة السياسية "لي تان مودرنس" التي أصدرها في نهاية الحرب العالمية الثانية.

كتبت "دوبوفوار": "ترددت طويلاً قبل تأليف كتاب عن المرأة، هذا الموضوع مزعج خاصة بالنسبة للنساء، وليس جديداً كذلك. فقد تدفق ما يكفي من الحبر خلال الخلاف حول الحركة النسوية، لكن الآن انتهى هذا الموضوع نوعاً ما، دعونا نتوقف عن الحديث عنه". كان هذا في عام ١٩٥٩، والمشاعر هي ذاتها الآن كما كانت آنذاك.

هذا الكتاب مترجم للغة العربية، وصادر عن دار الأهلية للنشر والتوزيع بعنوان "الجنس الآخر".

القصائد الكاملة للوسيل كليفتون، لوسيل كليفتون

بين النسوية والشعر تاريخ طويل حافل، و"لوسيل كليفتون" هي إحدى أكثر الشخصيات المحبوبة من حَمَلة الراية النسوية. "لويس" شاعرة وكاتبة أمريكية تتطرق قصائدها للعرق والجنس والتراث الإفروأمريكي. هذا الإصدار، الذي يجمع المجموعات الإحدى عشر المنشورة لها، بالإضافة إلى خمسين عمل غير منشور سابقاً، ليست أساسية فقط للمهتمين بالأدب النسوي، بل هي ضرورية لجميع قراء الشعر. قالت مجلة Publisher's Weekly عن هذا الكتاب إنه: "أهم كتاب شعري ظهر خلال سنوات".

المرأة المقاتلة، ماكسين هونغ كينغستون

مؤلفة هذا الكتاب هي كاتبة صينية أمريكية، كتبت ثلاث روايات والعديد من الأعمال الأخرى عن حياة الصينيين المهاجرين إلى أمريكا، وحازت على العديد من الجوائز لمساهماتها في الأدب الصيني الأمريكي.

تجمع "كينغستون" خليط مذكرات تجاربها الشخصية مع القصص الشعبية الصينية، باحثة في التجربة الصينية الأمريكية، بالإضافة إلى التجربة الأنثوية ومواجهة مصدر القمع الثقافي. كتبت "كينغستون": "هناك كلمة صينية تصف الأنثى وهي كلمة (عبدة)، إنهم يكسرون المرأة بألسنتهم. إذن لماذا لا نسعى لمساحة الاهتمام المخصصة للشباب عبر توجيه "فا مولان" (شخصية ذكرت في قصيدة صينية قديمة تتحدث عن المساواة وتم تجسيدها في ديزني) وتبديل جنسها؟". كذلك كتبت: "رفضت أن أطبخ، وعندما كنت أضطر لغسل الأطباق كنت أتعمد كسر أحدها. كانت أمي تقول لي بأنني فتاة سيئة، كانت تصرخ وكان ذلك يبهجني أحياناً بدلاً من أن يبكيني. أليست الفتاة السيئة صبياً تقريباً؟".

السياسة جنسية، كيت ميليت

لأصحاب النزعة الأدبية القوية، جربوا قراءة كتاب "كيت ميليت" الكاتبة النسوية الأمريكية، والناشطة التي اشتهرت بدفاعها عن النسوية في هذا الكتاب المنشور عام ١٩٧٠، والذي صنّف عالمياً على أنه العمل الأول "للنقد الأدبي النسوي الأكاديمي". بدأت فيه "ميليت" أطروحة الدكتوراه الخاصة بها. ومع أنه أثار العديد من الاستنكارات بقدر ما تلقى من ثناءات، إلا أننا نظن أنه نافذة أساسية للاطلاع على الشريعة الكنسية الغربية.

كيف تكونين امرأة، كايتلين موران

هذه القائمة مليئة بالكتب المنشورة قبل عقود، لذا فضلنا أن نختمها بكتاب حديث وهو دليل "كايتلين موران": "كيف تكونين امرأة اليوم". موران هي مذيعة وناقدة تلفزيونية وكاتبة بريطانية، حازت على العديد من الجوائز والتكريمات تقديراً لكتاباتها الصحفية وكتبها. "كيف تكونين امرأة" هو عبارة عن صراخ ونقد في قالب فكاهي. تقول موران: "نريد أن نستعيد كلمة النسوية، نريد أن نستعيدها بشدة. عندما أظهرت الإحصائيات أن نسبة ٢٩% فقط من النساء الأمريكيات يصفن أنفسهن على أنهن نسويات، ونسبة ٤٢% فقط من النساء البريطانيات كذلك، فكرت: ماذا تعني النسوية برأيكن أيتها السيدات؟ أي جزء من (الحرية للنساء) هو ليس لكنّ؟ هل هي حرية التصويت؟ الحق بألّا تكوني مملوكة للرجل الذي تتزوجينه؟ حملات النداء بالأجر المتساوي؟ موضة مادونا؟ الجينز؟ هل تسبب لك هذه الأشياء الإزعاج؟ أم أنك لم تكوني قد استيقظت بعد أثناء الاستبيان؟".

المصدر:

http://flavorwire.com/371989/10-essential-feminist-texts-that-everyone-should-read/view-all

كيف تؤثر العواصف الرملية على صحة الإنسان؟

سارة العمر

تسببت العاصفة الرملية التي ضربت منطقة الشرق الأوسط مؤخراً في إصابة المئات من الأشخاص بحالات اختناق فضلاً عن وفاة ٤ أشخاص في لبنان و٦ آخرين في سوريا. كما تسببت بتداعي مخيمات اللاجئين السوريين. فماهي مخاطر العاصفة الرملية؟ وماهي تأثيراتها على صحة الإنسان؟ وكيف نقي أنفسنا منها؟

ازدادت في الآونة الأخيرة العواصف الرملية في العالم كله نتيجة للتصحر والجفاف، حيث يتشبع الهواء خلال العواصف الرملية بذرات الغبار التي تتعرض لها جميع الكائنات بصورة مباشرة سواء عن طريق الاستنشاق أو التلامس المباشر.

وتتمثل مخاطر العواصف الرملية بأنها تلوث الهواء بشكل كبير، مما يؤثر على الجهاز التنفسي خاصة لدى من يعاني من مرض الربو والأمراض الصدرية، كما أن ذرات الغبار تعمل على تفاقم أعراض الحساسية، وتسبب انخفاضاً في الرؤية بشكل كبير وانعدامها في بعض الحالات، مما ينتج عنه زيادة في حوادث السير وتوقف لطرق النقل.

ماذا علي أن أفعل أثناء العاصفة الرملية؟

ينصح بأن تتجنب الخروج من المنزل إلا للحالات الضرورية. وإذا اضطررت للخروج، فقم بوضع كمامات طبية أو منديلاً مبللاً بالماء، بالإضافة إلى وضع نظارات لحماية عينيك. وإذا كنت في السيارة، عليك السير بسرعة منخفضة، وقم بإضاءة مصابيح السيارة واغلق جميع النوافذ بإحكام، وفي حال تعذر الرؤية ننصحك بالتوقف في أقرب نقطة. وإذا كنت في المنزل، أحكم إغلاق الأبواب والنوافذ لمنع دخول الغبار.

كيف يؤثر الغبار على صحة الإنسان؟

الغبار ليس فقط مزعجاً للإنسان ولكنه قد يكون مصدراً كبيراً للآثار الصحية السيئة، فهو يؤدي إلى تهيج الجهازين التنفسي العلوي (الأنف والجيوب الأنفية) والسفلي (الرئتين والقصبات الهوائية) لدى الكثير من الناس، كما أنه قد يحمل معه بقايا فطريات وجراثيم تسبب العديد من الأمراض، حيث تسببت العواصف الرملية التي حدثت في مناطق الصحراء في إفريقيا عام ١٩٩٦ في انتشار وبائي لالتهاب السحايا، أصاب ٢٥٠ ألف شخص بالمرض ونتج عنه وفاة ٢٥ ألف شخص بحسب تصريحات منظمة الصحة العالمية. وسبب انتشار هذا المرض المعدي، هو حمل ذرات الغبار للبكتيريا المسببة لالتهاب السحايا لمسافات طويلة. وعند استنشاق الإنسان لهذه البكتيريا بكميات كافية فإن احتمالي إصابته بالمرض يزداد.

لماذا يفاقم الغبار أعراض الحساسية عند مرضى الربو؟

المريض المصاب بحساسية الجهاز التنفسي تهيج وتزداد لديه الأعراض عند استنشاقه للغبار الذي يحمل الكثير من المواد العضوية وغير العضوية. وعند وصول هذه المواد إلى الجهاز التنفسي يتفاعل الجسم معها كمواد غريبة وينتج عن ذلك أعراض الحساسية. وزيادة تركيز ذرات الغبار في الهواء، يزيد كمية المادة المستنشقة منها، مما يؤدي إلى زيادة الحساسية وبشكل خاص لدى مرضى الحساسية المزمنين "مرضى الربو". وتظهر أعراض الحساسية لدى البعض كزيادة في العطاس وإفرازات الأنف والسعال الجاف أو المصاحب ببلغم، ويشكو البعض كذلك من أزيز واحتقان في الصدر وضيق في التنفس. وقد يصاحب ذلك حكة في الحلق والأنف والعينين.

ماذا يتوجب على مريض الحساسية والربو أن يفعل خلال العاصفة الرملية؟

خلال العواصف الرملية ينصح المرضى المصابون بالحساسية بتجنب البقاء في الأماكن المفتوحة المعرضة للغبار الكثيف. كما يجب استخدام الكمامات الواقية لكل من يعاني من مشاكل تنفسية. ويُنصح المرضى بصورة عامة بالانتظام على علاج الحساسية الموصوف لهم من قبل الطبيب. والتواصل مع الطبيب خلال هذه الفترة لتعديل جرعة العلاج إذا تطلب الأمر.

هل يؤثر الغبار على العينين؟

يؤثر الغبار كذلك سلباً على العينين حيث يؤدي إلى تجريح سطح القرنية والملتحمة، بالإضافة إلى أن ذرات الغبار الكبيرة قد تؤدي إلى قرحة بالقرنية. كما أن الغبار قد يحمل معه ميكروبات تسبب احمراراً شديداً في العين، لذلك ينصح باستخدام نظارات لحماية العينين من دخول الغبار.

ما هو تأثير الغبار على جلد الإنسان؟

إن الغبار يسبب الأكزيما للبشرة الجافة، كما يسبب حساسية للجلد، وبثوراً للبشرة الدهنية وتسبب الأتربة جفاف الجلد وزيادة خشونته وفقدان نضارته، كما تسبب زيادة في ظهور الحبوب. وتتميز هذه الحبوب بالرؤوس السوداء نتيجة تلوثها وانسداد فتحات مسام الجلد. كما أن بعض الأشخاص قد يصابون بحالات الإكزيما في الوجه واليدين. وللوقاية من آثاره السلبية، يجب حماية البشرة وترطيبها باستمرار باستعمال الكريمات المناسبة قبل الخروج من المنزل بنصف ساعة، وأخذ حمام بعد العودة لإزالة أي أتربة قد تكون عالقة بالجسم.

للأصالة دار إسمها حلب "ردينة عبود" صوت نسائي حلبي أصيل

حاورتها: نور مارتيني

مع انطلاق الثورة السورية، راحت الأعين كلها تتجه إلى مدينة حلب، ثاني أهمّ المدن السورية، منتظرة انخراطها في الثورة لما لها من خصوصية، ولاقتناع السواد الأعظم بأنها قادرة على قلب الموازين في المعركة مع النظام، خاصة أن لها معه ثأراً قديماً منذ الثمانينيات، حيث دمر أحد أعرق أحيائها (المشارقة) بالطيران، أسوة بنظائره في حماة: (الكيلانية، البرازية والمشفى القديم). وبالفعل بدأت التحركات في حلب بين صفوف المثقفين، حيث قام محامو حلب بتنظيم عدة اعتصامات في القصر العدلي، وتم اغتيال عدد من الأطباء، على خلفية معارضتهم للنظام، فكان أول شهداء حلب الطبيب "صخر حلاق"، الذي اغتالته الأجهزة الأمنية بعد اعتقاله، وتمّ التمثيل بجثته، أضف إلى ذلك، الحراك الأهم والأنبل، وهو مظاهرات الشباب جامعة حلب، التي أرقت للنظام.

تستضيف مجلة سيدة سوريا أحد أهمّ الأصوات النسائية المثقفة، التي كان لها دور في مؤازرة الشباب السوري من الدارسين في جامعة حلب، والذين مثلوا الجانب الثوري الأكثر ألقاً في حلب، ولأنهم كذلك، عمل النظام جاهداً على قمعهم، ولهذا السبب بالذات لقيت "ردينة عبود"، وهي المدرّسة في جامعة حلب، ما لقيته.

مرّت "ردينة" بظروف عصيبة جداً، ابتداء بمداهمة منزلها واعتقالها في فرع المخابرات الجوية بمدينة حلب، مروراً باغتيال زوجها، الدكتور عبد الرؤوف كريّم، رجل الأعمال الحلبي الذي انحاز للثورة منذ بداياتها، وشكّل واحدة من كتائب الجيش الحر، حيث نجا من محاولة الاغتيال الأولى بعبوة لاصقة ألزمته المشفى فترة طويلة، لتنجح محاولة الاغتيال الثانية، وتتم تصفيته في مكتبه.

لم يكن هذا وحده نصيبها من القهر، بل يضاف إليه هروبها وأولادها من قبضة السلطات السورية، ولجوؤها إلى مدينة في عمق تركيا، لأنها هددت بتصفية أو اختطاف أحد أبنائها لدى وجودها في إحدى المدن الحدودية، ناهيك عن مصادرة كافة أملاكها وأملاك زوجها الراحل في سوريا.

بالرغم من كل هذه المعاناة، لا يفارق البريق عيني "ردينة" وهي تتحدّث عن الأيام الأولى للثورة، وعن الحراك الشبابي في جامعة حلب، أثناء البدايات، وهو ما يبدو جلياً في إجاباتها عما وجهته لها "سيدة سوريا" من أسئلة.

كتبت على صفحتك في فايسبوك تتحدثين عن حادثة اعتقالك: "يا لثارات كل من ذاق وعرف باستيل حلب (الجوية)... أمنيتي لو كان لي جناحان وأحلق هناك.. وأتخيل أرواح الشهداء تهدأ في مسكنها.. اليوم أعود إلى ٢٠١١/٧/١٨ بكل تفاصيله المربعة". كإحدى أوائل من أشعلوا الحراك الثوري في حلب، وكأم سورية، ماذا تعني لك تلك التجربة؟

بتاريخ ٢٠١١/٧/١٨ تمّ القبض عليّ من منزلي في حلب، بعد مداهمة البيت والاستيلاء على كافة الحواسيب، بما فيها حاسوبي الشخصي وحاسوب الأطفال.

كانت مداهمة مسلّحة، بعدد كبير من العناصر، جرى قطع الشارع وانتشر العناصر على الأسطح المجاورة لبيتي، وتم احتجازي في فرع المخابرات الجوية منذ الساعة الواحدة ظهراً تقريباً، حتى الحادية عشرة والنصف ليلاً.

حقيقة لم أتعرّض لأي نوع من التعذيب، كون الحراك كان خجولاً في حلب، ونظراً لكوني سيدة.. بدا ذلك واضحاً من ارتباكهم في التعامل معي. غير أن هذه التجربة زادتني قوة وإيماناً بمسار الثورة، لقد كانت التهمة الموجهة لي يومها هي أنني "شخص مقنِع"، نجحت إلى حدّ كبير في جذب طبقة واعية، قد تكون قادرة على خدمة الثورة، وتمثيلها خير

تمثيل، كانت هذه القضية جريمة كبرى بالنسبة لهم.

بالرغم من الثمن الباهظ الذي تدفعه المرأة السورية، نجدها حريصة على النهوض، هل تعتقدين أن السيدة السورية قادرة على أن تعيد بناء ما هدمته الحرب؟

لا شك أن المرأة السورية أذهلت العالم بصبرها وبأسها، وإيمانها وقوتها، شاركت الرجل حراكه الثوري خطوة بخطوة، لا بل

ربما سبقته، كيف لا وهي المسؤولة عن حماية بيتها، وسدّ فراغ غياب زوجها، وتحمّل العبء الماديّ.. لم تدّخر جهداً في أي مجال من المجالات، إلا وكانت السباقة فيه.

ما حدث في المراحل الأخيرة من الثورة من إقصاء للمرأة، (وهنا يجب التنويه أنه لم يتم إقصاء المرأة وحدها فحسب، بل تم إقصاء الرجال ممّن يحملون الفكر المدني، ومن وجهة نظري أنّ مسألة الإقصاء لم تكن بسبب الجنس، ولكن بسبب الفكر، إذ أنني لا أجد فارقاً بين الرجل والمرأة ممن يحملون هذا الفكر)، حيث تمّ إقصاء صوت كلّ ذي عقل وحنكة وبعد نظر..

وقد تكون المرأة ابتعدت من تلقاء نفسها بسبب تنامي ظاهرة العنف اللفظي تجاهها، والتعرّض لشرفها وأخلاقها، وهذا تابو بالنسبة للمرأة السورية، ولكنها لم تتخلّ عن دعم ورفد الثورة، فالأم قدمت أولادها تلبية لقيم الحق والعدالة، وصبرت، والزوجة كذلك والأخت والبنت، وتعالت على جراحها، نهضت واستنهضت غيرها.. منها تبدأ الحياة، وهي سبب الاستمرارية.

كنتِ مدرّسة في جامعة حلب، دائمة التواصل مع طلابك، بل وصديقة لغالبيتهم. إلى أي حدٍّ تجدين أن التواصل مع هذه الفئة جعلك تنحازين للثورة، خاصة أن الحراك الثوري في مدينة حلب بدأ من جامعتها؟

لا شكّ أن عملي أتاح لي أن أكون شاهدة عيان، لا تعتمد على القيل والقال، كنت أوثّق كل شيء، وأجمع الطلّاب كلهم: من درعا، مروراً بريف دمشق وحمص وإدلب وريفها، ودير الزور حتى حلب، كنت أستمع إلى ما جرى معهم، وأطلب منهم توثيق كل ما يمكن توثيقه، كنا نتبادل الأحاديث، ندعم بعضنا وننسّق، بحيث يكون عملنا قابلاً للتوسع، مخطّطاً، منظّماً ومجدياً، وهنا لا بدّ لي من أن أشيد بشجاعة وبطولة ووطنية ونخوة هؤلاء الشباب.

أنت أم لطفلين وشابتين مراهقتين..إلى أي حدٍّ تجدين نفسك قادرة على تجنيبهم مغبّات الأحداث الصعبة التي عايشوها، كما غالبية السوريين؟ وما هي العقبات التي تقف في وجه إنجاز مهمتك على النحو المطلوب؟

في الحقيقة أول خطوة قمت بها، وأدركت أنه لا بدّ لأولادي أن يدركوها جيداً، هي تعليمهم ألا يكفروا بالثورة، أو يشعروا أنهم ضحية حرب، فبعد استشهاد والدهم والظروف القاسية التي عانيناها، كان لا بد لي من الابتعاد بهم، ومحاولة بدء حياة جديدة وفق معطيات جديدة، ومحاولة الوقوف على أقدامنا، أنا وإياهم من جديد، وهذه ثورة بحدّ ذاتها. طبعاً كان ذلك شاقاً ومؤلماً، كل هذه التفاصيل كانت تطلّبت جهداً مضاعفاً، ابتداء من أبسط الأمور وحتى أعقدها، كنا وحيدين تماماً إلا من رحمة الله ودعاء الأهل.

هنالك غياب لدور المرأة الحلبية في شتى المجالات، وقد تكونين من الأسماء القليلة، التي كانت متواجدة داخل مدينة حلب، والتي كان لها دور في الحراك الثوري. ما هو السبب برأيك؟

أختلف معك قليلاً في هذه النقطة، فعملية التغييب لم تشمل المرأة الحلبية فقط، بل والرجل الحلبي أيضاً، حيث أدار النظام الأمور في حلب بمنتهى القذارة، وذلك نظراً لخصوصية وضعها من ناحية المكانة الاقتصادية تحديداً، فهي عاصمة سوريا الاقتصادية، وثاني أهم المدن السورية، وللأسف فقد انطلت الكثير من الحيل والألاعيب على غالبية الناس، رغم أن ذلك لم يجنّبهم الثمن الباهظ الذي دفعوه فيما بعد.

اخترت مدينة قونية التركية للنزوح إليها، وكنت مديرة المدرسة السورية الوحيدة فيها. إلى أي حد أنت راضية عن تجربة تعليم السوريين في تركيا؟

قونية كانت وما زالت خارج اهتمامات سياسيي المعارضة، كان أبناؤنا فيها أمام كارثة، لا وجود لمدارس سورية فيها، ولا تقبل المدارس التركية بهم، وبحكم عملي الطويل كتربوية أدرك حجم الخطر المحدق بأبنائنا، وأعي الكوارث الناجمة عن هذا الإهمال في قضايا التعليم، جاهدت كثيراً حتى تحقّق الحلم، وبإمكانات بسيطة.

كانت تجربة بسيطة، وأنا راضية عنها، ضمن الإمكانات المتاحة طبعاً. إلا أنّ المدرسة أغلقت في العام الماضي، بسبب تنامي ظاهرتين: أولاهما سطوة ونفوذ تجار المال، وثانيهما نفوذ رجال الدين. وللأسف، الكل مستهتر بمصير أبنائنا، كلّ ما يعنيهم ترجيح الكفة لصالحهم، دون أن يدرك أحد حجم التشوه الداخلي في بنية هذا الطفل السوري مستقبلاً، هذا الطفل الذي حرم البيت، الوطن، المأوى، والغذاء في بعض الأحيان، والذي أضحى محروماً من أبسط أساسيات الحياة والاستمرار، ومن وجهة نظري الخاصة، فملفّ التعليم هو الأخطر والأهم، وباعتقادي أنه الحاجة الأكثر إلحاحاً في المرحلة الراهنة، والتي ينبغي أخذها بعين الاعتبار.

ثوار البدايات في حلب، أثبتوا أنهم يحملون في نفوسهم شموخ قلعتها، وأصالة أحيائها.. يحملون حبّ الجمال، فكيف إذا كان خرجت من حلب امرأة ثائرة؟!

حلب، التي يكاد يغيب فيها صوت المرأة، تعلو أصوات نسائها المتواجدات في بلاد الاغتراب، وهو ما يشكّل العامل الأهم في ابتعاد الثورة عن مسارها الصحيح، ففي كل المجتمعات يعدّ الحراك النسوي، المقياس الأهم في نهضة هذه المجتمعات.

الحمل

مستجدات سلبية تحتاج للذكاء والحذر، وقد تضطرك للعودة عن قرار أو تعديل رأي ما. عاطفياً، لا بد من تقديم تنازل ما لإظهار نواياك الحسنة، لكن لا تنتظري تجاوباً كبيراً فقد يخيب أملك!

الثور

فترة متأرجحة ودقيقة تحتاج إلى الرويّة وتوسيع دائرة علاقاتك. تضطرين لدفع مبالغ إضافية أو تغيير عملك. عاطفياً، ترتكبين الحماقات إثباتاً للوجود وحرصاً على الحبيب، احذري التسلط واستغلال نفوذك لكي تفرضي عليه ميولك، فقد تخسرينه.

الجوزاء

عطارد يتنقل في برجك طيلة الشهر حاملاً الكثير من النشاطات وفرص التواصل والتعارف. ويبقى المريخ في برج الميزان معززاً طاقاتك وقدراتك الجسدية. عاطفياً، تسود الألفة والانسجام، استغلي اللحظة الجميلة لاستعادة ثقة الحبيب.

السرطان

تعجزين عن السيطرة على الأمور المهنية، تجنبي القرارات المتسرعة والانفعالية، أو التهور في كلام قد يرتد عليك سلباً. عاطفياً، تشكين من برود الحبيب تجاهك، لا تتسرعي في الحكم وتذكري أن جوّك الخاص ليس صافياً، وأنك مصدر للمشاكل والتجاذبات السلبية.

الأسد

حان وقت إظهار قدراتك والعمل لتحقيق أهدافك دون تردّد، يسطع نجمك أينما حللت، وتدعمك الظروف في مساعيك. وقد تضطرين لتنازلات وتضحيات، لكن الأمور تؤول لمصلحتك. عاطفيّاً، تمارسين سحراً منقطع النظير، فلا داعي لأي مبادرة لاحتلال القلوب.

العذراء

يتأجّل عقد كنت تعوّلين عليه، وقد تعود مشكلة قديمة للظهور، أو تسود الفوضى حياتك المهنية، تحرّكي باكراً، فقد تحتاج بعض المفاوضات إلى المزيد من الوقت. عاطفياً، يقدر الحبيب اهتمامك وتفهّمك، يسامحك على الأخطاء ويعود الى أحضانك.

الميزان

أنت بحاجة تحالفات لضمان حقّك في عملك، حافظي على معنوياتك، ولا تسمحي بالتشكيك في قدراتك وسمعتك. العمل ساعات إضافية يدعم العلاقات المهنية، جاهدي في سبيل مصلحتك، ولن تندمي. عاطفياً، تحتاج العلاقة تأكيداً للمشاعر، فلا تسمحي للجفاء بينكما أن يطول.

العقرب

تستردين مركزك، وتديرين أمورك باندفاع ومعنويات مرتفعة. لا تتأخري في تقديم الطلبات والعروض، أو في تنفيذ بعض المشاريع، لأنك قد تصطدمين بمصاعب وحواجز تعيقك. عاطفياً، تشرقين بجاذبية وتميز، وتتلقين خبراً استثنائياً يملؤك بالفرح.

القوس

استمعي إلى آراء الآخرين، مشاكلهم وحاجاتهم، استشيريهم قبل اتخاذ القرارات، استفيدي من خبراتهم، وأوجدي مصلحة مشتركة، تجنباً لاحتجاجاتهم. عاطفياً، شكوك وهواجس تفقدك الشعور بالأمان، تجنبي الغيرة، احرصي على تخصيص وقت للشريك.

الجدي

تصرفاتك القاسية وصراحتك الجارحة تورطانك في مأزق محرجة جداً، تكيفي مع الواقع لتحمي مصالحك. عاطفياً، عليك التخلص من الهواجس والشكوك التي تثير غيرتك بين الحين والآخر، إذا تأزمت النزاعات فقد تؤدي إلى قطيعة بينكما.

الدلو

فكري بحل لمشاكلك المهنية، كي لا تفقدي قدرتك على السيطرة، تجنبي اتخاذ أي مبادرة أو خطوة مهمة أو البدء بأي مشروع حالياً، مهما يكن صغيراً. عاطفياً، ينعكس الوضع المهني على حياتك العائلية، حافظي على ثقتك بنفسك ولا ترتكبي الحماقات.

الحوت

تدخلين دورة من الحظ المميز تمتد حتى أواخر الشهر المقبل، مما يثير الغيرة والحسد، ويجعل الآخرين يطلقون الإشاعات ضدك. عاطفياً، تتمتعين بقدرة على استيعاب أفكار الحبيب وآرائه المختلفة، وتكونين إلى جانبه طوال الوقت، ما يعزز الثقة بينكما.

الكلمات المتقاطعة

أفقي

١- قائدة في الجيش الحر وشهيدة- وشاح (معكوسة)
٢- يعذب- من الأوقات- عقل
٣- شاي بلغة أجنبية- للوقاية من الغازات السامة (معكوسة)
٤- معبر على الحدود التركية (معكوسة)- تشاهد (معكوسة)
٥- اسم علم مؤنث- مشى- للنداء
٦- ود- قبيلة عربية في مكة- الصديق والحبيب
٧- حي في دمشق
٨- وطني سوري رئيس المجلس النيابي ورئيس للحكومة (معكوسة)
٩- أدخل – مخيم للنازحين في الشمال السوري (معكوسة)- اضع خلسة (معكوسة)
١٠- كثير- مرض ساري ينتشر بين المعتقلين السوريين (معكوسة)- تقنط (معكوسة)
١١- رشح- حرف تحقيق- هرب
١٢- ناشطة اعتقلها تنظيم داعش- قائد فرنسي صاحب الإنذار الشهير ضد سوريا (معكوسة)

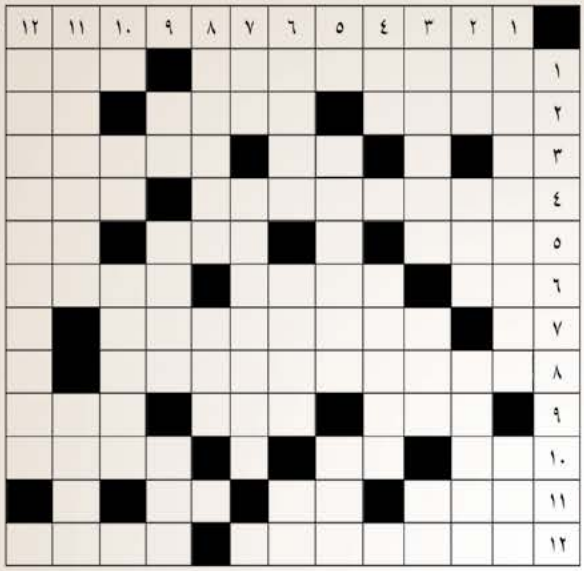

عامودي

١- مخرجة سورية شابة- ناقوس
٢- حرف نصب - منح- لتثبيت الخشب (معكوسة)
٣- عابس- فسّر- إحسان
٤- للنفي (معكوسة)- مدينة في ريف درعا
٥- قبر شهير في الهند- روى
٦- من اسماء الله الحسنى- آني (معكوسة)- أشار
٧- حرف عطف (معكوسة)- قتال بشجاعة
٨- نأى (معكوسة)- حمامات
٩- بحر- أضاء- شجر حراجي
١٠- متشابهان- يستخدم لقطع الصخر (معكوسة)
١١- في المجموعة الشمسية- وعاء دموي في الجسم (معكوسة)
١٢- منظمة نسوية سورية

سودوكو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب، الهدف هو ملء الـ ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى تسعة دون تكرار.

٨			٤		٢			
				٧		٢		٨
	٢		٥	٩		٧		٣
١		٩	٣				٢	
٥	٨		٧		٩		١	٦
	٦				٥	٨		٧
٦		٣		٥	٧		٨	
٧		٥		٢				
			٦		٤			٥

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من اثني عشر حرف: حملة لسيدة سوريا ضد تزويج القاصرات

أيتها العرافة المقدسة ماذا تفيد الكلمات البائسة قلت لهم ما قلت عن قوافل الغبار فاتهموا عينيك يا زرقاء بالبوار قلت لهم ما قلت عن مسيرة الأشجار فاستضحكوا من وهمك الثرثار وحين فوجئوا بحد السيف قايضوا بنا والتمسوا النجاة والفرار ونحن جرحي القلب جرحي الروح والفم لم

ا	ك	ي	ن	ي	ع	ا	ة	س	ئ	ا	ب	ل	ا	ل
ل	ا	ز	م	و	و	ل	ر	ا	ث	ر	ث	ل	ا	م
ك	ل	ر	ا	ا	ا	غ	ق	ر	ا	ر	ف	ل	ا	و
ل	ر	ق	ط	ل	ل	ب	ل	ة	ف	ا	ر	ع	ل	ا
م	و	ا	ع	ف	ت	ا	ت	ا	و	م	ه	ت	ا	ف
ا	ح	ء	ن	م	م	ر	ي	ح	ر	ج	ا	ب	م	ق
ت	ق	ا	ن	ب	س	ف	ك	م	ه	و	ل	ا	ا	ا
ف	ل	د	ح	ب	و	م	ا	ذ	ا	م	ن	ل	ل	ي
و	ت	ن	م	ة	ا	س	ي	ح	ر	ج	ج	ب	ت	ض
ج	ل	ن	ح	ن	و	ي	ن	ي	ح	و	ا	ف	و	و
ئ	ب	ل	ق	ل	ا	ر	ا	م	ه	ل	ة	ا	ي	ا
و	أ	ي	ت	ه	ا	ة	ف	ي	س	ل	ا	ر	د	ل
ا	ن	ع	و	ر	ا	ج	ش	أ	ا	ل	ا	ي	ز	ه
ة	س	د	ق	م	ل	ا	ت	ل	ق	ج	ت	ل	ق	م
ل	ف	ا	و	ق	ة	و	ا	ك	ح	ض	ت	س	ا	ف

عندما تكتب المرأة نفسها شاعرات الجزيرة السّورية أنموذجاً

خُناف كانو

على مرّ العصور كان الصّوت الذي لا يقبل المرأة إلّا جسداً، يحاول بشتّى الوسائل حصر وجودها بالزواج وإنجاب الأولاد، كما كان يسمحُ لها بالقيام بالعمل أحياناً خارج البيت، كما في الحقل والرّعي وغير ذلك. ومع انتشار العلم والمدنيّة، أصبحت المرأة تعمل خارج البيت وتقوم بعدّة واجبات في ذات الوقت. ولا يخفى على أحد، وبحسب المصادر التّاريخيّة، أنَّ الشّاعرة اليونانية "سافو" هي أوّل شاعرة في تاريخ الأدب النّسائي، إذ قامت بفتح أول مدرسة معروفة في التّاريخ لتعليم الفتيات فنون الشّعر والموسيقى. إذاً المرأة بدأت بالكتابة منذ زمن بعيد، ويفوق عدد النساء الشّاعرات إلى حد ما عدد كاتبات الأجناس الأدبية الأخرى، انطلاقاً من رقّة العواطف والمشاعر والقدرة على التعبير والجرأة والموهبة والثّقافة وغير ذلك. لكن السّؤال هُنا: ما الذي يشغل المرأة الشّاعرة، وما المواضيع التي تترجمها شعراً، وأخصّ بذلك الشاعرة في منطقة الجزيرة السّورية؟

نتيجة قراءة بعض القصائد لشاعرات من هذه المنطقة بكلتا اللغتين العربية والكردية، يتّضح أنّ معظم الأقلام النّسائية لا تخرج من دائرتها الخاصة، دائرة الأنثى، وهذا يعود إلى ما تتعرّض له المرأة في هذه المنطقة من ضغوط ، تتمثّل في الكلاسيكيّة التي تمتد على حياة معظم النّساء، بدءاً من الولادة، وحظ الفتاة بأنّها أنثى، والعقليّة الرجّعية التي تحكمها، والتّغيرات الفيزيولوجيّة في جسدها، التي تحتّم عليها أن تحبّ وتفرح وتُجرح وتنسى بصمت، ممّا يخلقُ عقدة نقص عندها بأنّ القلب النّابض في صدرها مرتبطٌ بالمجتمع والأسرة والنّسب وما إلى هنالك. وانطلاقاً من الشّعور بتعليب العاطفة وتسييرها، والرّؤية الكلاسيكيّة المتعارف عليها بأنّها الملهمة الدّائمة للشّعراء، كونها الالهة عشتار أو حواء أو الحورية الجميلة، تتحول المرأة دميّةً تتحرّك وفقاً للقصيدة، قبلة منها تطيل العمر وتجعل الأرض أكثر خضرةً، كما أنّ خصلات شعرها تعطي للرّيح معنى، وعيناها تجعلان النّهر أكثر زرقةً، كلّ ذلك يقوم على النظر إلى المرأة كآية جمال سرعان ما يذبل، وتتساقط المرأة كورقة خريفيّة صفراء، إلّا إنّ بعض الشّاعرات قد حملْنَ سيف الدفّاع عن الرّوح، كونها الجمال الحقيقي، ففي قصيدة للشّاعرة الكردية المولودة في الحسكة "هناء داوود" بعنوان "والنّجوم تسافر أيضاً"، تقول "داوود":

دائماً
كانَ يقول
إنّ جسدها آخر اهتماماته
حينَ ابتدأت القصيدة
لكنَّ جسدها
كانَ
كلّ اهتماماته
حين أنهى كتابتها..

وذلك في صرخة متمرّدة في وجه كلّ رجل يراها جسداً يستغلّه ليكتب مشاعره، وفي رسالةٍ واضحةٍ لكلّ الشّعراء الرّجال الذين يرون المرأة من أضيق زاوية فيها.

تكسرُ الشّاعرة نفسها في قصيدةٍ أخرى تحت عنوان "رحلة مع قطرة مطر" التّبعيّة والاستسلام للنّساء اللواتي يربنَ في المطر رّومانسيّة مفرطة مع الحبيب، تكسر "هناء" تلك القاعدة، وتجعلُ من حبّة المطر المخلّص لقلبها وللإنسانيّة، تقول:

تناديني قطرة المطر
لأفتح قلبي للحياة
وأنهمر
دمعةً على خدّ طفل
يحلم أن يكبر
حبّات عرق
فوق جبين عجوز
أو كأس ماء
أروي به ظمأ السنين
لأكون دمعةً في عين أمٍّ نام أطفالها جياعاً

ليس المقصود هنا تجنيس النّصّ الأدبي، أو البرهنة على أنّ المرأة تستطيع كتابة نفسها أكثر من الرّجل، بدليل وجود نصوص شعريّة عديدة تتحدث بلسان الأنثى وكتّابها شعراء رجال، لكن المُراد هُنا هو إلقاء الضّوء على المرأة الشّاعرة التي تعيش في خضمّ أنوثتها، وتمتلك القدرة الإبداعية على التعبير، ممّا يخوّلها أن تكتب بعفوية. فالرّجل الشّاعر يكتب عن المرأة مايراه فيها، لكن إن كتبت المرأة ما تمرّ به مستوفيةً كافّة الأدوات الإبداعية، سنجد نصّاً خالداً، ومن أوائل هذه الأدوات القدرة على كتابة المشاعر والتفاصيل التي لا يصل إليها الرّجل. هناكَ العديد من الشّاعرات في هذه المنطقة يحملنَ ممحاة بين أقلامهن، لمسح كلّ شيءٍ يصدم أو يجعلها، بحسب المجتمع، تتجاوز الخطوط الحمراء، وهذا ما يسبب الخزي لتلك الشّاعرة التي حاولت أن تكتب بصدق عن جسدها كما تحسه. في المقابل إذا تحدّث شاعرٌ ما عن جسدها بصورة إباحيّة، كالوصف الجسدي في الأدب والفلكلور الكردي الذي يتمثّل بوصف دقيق لنهديها، (ومعروف بأنّ هذا الفلكلور الذي يتواجد بقوة وحتى اليوم في الأغنية الكردية في الجزيرة)، لا يسبب ذلك أي بلبلة في المجتمع، فيما تعرضت العديد من الشاعرات الكرديات في مدينة القامشلي وغيرها لمضايقاتٍ من المجتمع بسبب انفتاح نصوصهنّ الأدبيّة.

كما أنّ ذلك النّص المحظور الذي تكتبه الأنثى عن نفسها، لو كتبه رجلٌ لاستقبل برحابة صدر، إلّا أنّ

الأسلوب في صياغة نص أدبي جنسه أنثى. يأتي أحياناً عامّاً ومستهلكاً. ويمكن أن نقرأ أي نصّ مشابه له لأية شاعرة أخرى في العالم. والمشكلة الحقيقية هنا تكمن في انعدام الخصوصية وحقيقة تجربة كل شاعرة على حدة، وتفاصيل البيئة المحيطة بها. وفي محاولةٍ فاشلة لتقدير المرأة بشكل ساذج في منطقتنا ومنحها جوائز أو مناصب إدارية في المؤسّسات الثّقافية، في خطوة مُجامِلة، ولتصوير المساواة الوهميّة، تُمنح المرأة الشاعرة الشّكر الامتنان مهما كانَ الشّعر رديئاً، فقط لأنّها امرأة.

تقول فيرجينيا وولف: "تحتاج النساء لكي يكتبن إلى دخل ماديّ خاصّ بهن، وإلى غرفة مستقلّة ينعزلن فيها للكتابة". وبرأيي فإنّ هذه المقولة صحيحة كضوء الشّمس. حيثُ إنّ الظروف المواتية للكتابة غير مساعدة. واختيار العديد من النّساء الزّواج أو الخضوع لرغبة الزّوج أو الحبيب بترك الكتابة، كون بيتها وزوجها وأولادها بحاجة إليها أكثر. وعليها أن تعطي نفسها بكلّيتها للبيت، هو خطرٌ يحدق بحياة كل امرأةٍ تكتب في خوفٍ دائم من المستقبل ومن العمر الذي سيعيشه قلمها.

كما أنّ التأثّر بالثقافة المتعلّقة بكلّ قومية على حدة في قصائد شاعرات هذه المنطقة يظهر جليّاً. "آسيا خليل" شاعرة كرديّة سوريّة من مدينة ديربك/المالكيّة. تكتبُ الشّعر باللغتين العربية والكردية. لها مجموعة شعرية بعنوان "أهبُ أصابعي لخواتم النور". اعتقلت آسيا لأعوام بتهمة سياسيّة. فهي الشاعرة والناشطة السياسية الكردية الأولى التي افتتحت دفتر الكرديات السوريات في سجون النّظام السوري. باعتبارها أول من جرّب مرارة السجن والاعتقال السياسي بينهن طيلة سنين. وليس روتينياً في منطقة كالجزيرة السجّن للإناث وخاصّة لمدة طويلة. سيّما إن كانتْ المعتقلة شاعرة، تبحث في قلب الصّمت عن صرخة. وفي ظلام اللّيل عن شمعة. وتمضي وقتها تجمع يومياتها في جعبة. آسيا خليل التي جعلت من السّجن مرآةً تعكسُ صورة كلّ امرأةٍ معتقلة. وحسّاً شعرياً أنثوياً وإنسانياً في آنٍ واحد. نقرأ في قصيدتها "رسالة من تحت الأرض":

ليسَ لأنّ المكان هنا
رطب وقذر
وليس لأن الماء مثلج
والصّابون عملة نادرة
ولكنّ لأنّ شعري
أغواه القمل
شعري الطّويل
ياأمّي
شعري الطويل
قد..
قصـ.صته

هذا الغِنى والتّرف في الشعور وفي مواساة الألم. في التّضرع. النّص الذي يحكي لك أنوثته دون صوت. سيّما الصّورة الشّعرية في الشّعر الطّويل الذي يروي قصّة أنثى. وهذا مرتبط بالتّربيّة التي قد نشأت عليها النّساء في الشّرق الأوسط. حيث أنوثة المرأة في شعرها الطويل. تصف آسيا خليل شعرها الطّويل وتستخدم كلمة "أمّي" التي تعبّر عن الانكسار والمعاناة والمأساة. ولأن الشّاعرة أنثى والأمّ أنثى. فإنّ الأولى أن تصرّح بكل جسارةٍ لأمّها بأنّها قصّت شعرها. وكأنّ الكلمة "قص..صته.." تظهر كمقص. في تعبيرٍ ينبع من صّميم تجربة الشّاعرة. ويقصّ أحلامها موحياً بأنّ الأنوثة في السجن تصبحُ مشكلةٍ كبرى لصاحبتها.

تمثّل "آسيا خليل" الصوت الشّعري الكرديّ الذي تأثّر بالرّموز الأسطورية الكرديّة. فقد اقتبست تلك الشّخصيات من مخيلتها لتسقطها على الشّعر. تلوذ بتلك الشّخصيّات وتعامل اللغة معاملةً خاصّة فتداعبها أحياناً. وتجعل من اللاّشعور التراكمي في العاطفة والتجربة الإنسانية للمرأة الكردية. موضوعاً تحوّله من الهم الخاص إلى الهمّ العام. فتستعين بالملك الإيزيدي "دوموزي" المعروف بطاووس ملك. وتناجيه طالبة منه العودة بعد الغياب الطويل. تقول. في قصيدة "لا شيء يدعو للدهشة":

لا شيءَ يدعو للدهشةِ
أنا أيضاً كنت شجرةً
لكنّ دوموزي نسيَ الفأسَ
في يدِ الكهنةِ
قبل رحيلهِ الأخيرِ.
دوموزي وعدني
ولم يعدْ
يحقُّ لي إذاً أن أبحثَ عن جذري
في "جذر السّوسن"
في شرود الزعترِ البرّيّ
في سهوِ شجرة البطم عن خريفها
أو نعيق غراب
أأعودُ كما كنتُ ماءً
أو بعضَ سماءٍ، أتأرجحُ منها
بخيوطِ الرّنينِ،
رنينِ الضحكةِ الأولى؟
أتعودُ
دوموزيَ
في الموسمِ المعهودِ،
أكان عليَّ أنْ أتقمّصَ الفراشاتِ
وأملأ الكأسَ من عينِ النّورِ
ثمّ أحترقَ

ها استيقظتْ عصافيرنا:
_ سلاماً يا عصفورة العزلة.
_ سلاماً أيتها النافذة الغريبة.

الشّاعرة تصفُ حالتها بأسلوب وجداني. وكأنّ الطبيعة قد زرعتها في صلب الأرض وأبقتها بلا ماء. الطبيعة في قصيدة "لا شيء يدعو للدهشة" أنثى هُمّشت وغُيّبت. وبعد انتظارها المطوّل قررت أن تتمرّد على الاستسلام وتبحثَ عن جذرها وكينونتها. سيّما في قولها:

"أأعود كما كنت ماء أو بعض سماء" كما إنّ مفردات: (الفراشات. الكأس. النافذة. العصفور) تعبّر عن أنوثتها التي حاولت أن تنقذها من العزلة والنسيان. وتنتهي القصيدة برؤية سوداويّة وكأنّها تودّع كلّ ما لها في هذه الحياة. الحياة التي لم تشعر بها أصلاً وتمثّلت "بعصفورة العزلة والنافذة الغريبة". في رسالةٍ صارخة تعبّر عن واقع المرأة بأنّ الحياة والموت سواء لديها.

في النّهاية. فإنّ المواضيع التي يتناولها الشّعر في أي بقعة من العالم تختلف وتتفاوت بحسب البيئة. إلّا إنّ المرأة أياً كانت وعبر التّاريخ البشريّ. تعرّضت لكثيرٍ من القمع والاستبداد سياسياً واجتماعياً وثقافياً. وما هذا المقال إلّا رصدٌ بسيط لزاوية مما أنجزته شاعرات قرّرنَ أن يكتبن ويعبّرن عن تجارب آلاف النّساء من شمال سوريا.

المرأة في الأدب السعودي

طغيان الحضور في الرواية وشلله في الواقع

بشار عبود

كثيراً ما كنت أقول لأصدقائي السعوديين عندما كنت أعمل في جريدة عكاظ، إن تدفق الأعمال الأدبية السعودية بهذا الشكل الغزير، سيغيّر قريباً فكرة المتن والهامش في الثقافة العربية، إذ لا يمكن تجاوز الضخ المهول في الإنتاج على مستوى الإبداع الأدبي بأنواعه المختلفة، وتحديداً في الشعر والرواية والقصة القصيرة، والتي أصبحت جزءاً مهماً من متن الثقافة العربية وجزءاً مهماً كذلك من آمالها وأوجاعها. فقد تحولت هذه الإبداعات لتصبح منافساً قوياً في الحصول على الكثير من الجوائز الأدبية التي تتوجت بأسماء سعودية، لا يمكن تخطيها على مستوى الأدب العربي ككل. ويحضرني على سبيل المثال الشاعر الكبير محمد العلي، والشاعر الراحل محمد الثبيتي، والروائي تركي الحمد، عبده خال، رجاء عالم، ليلى العثمان، أميمة الخميس ميساء خواجة، فوزية أبو خالد، ثريا العريض، نورة السعد، خولة الكريع.. والكثير غيرهم من الكتاب والأدباء السابقين والمعاصرين.

وفي مجتمع مثل السعودية، تميزه القيود الدينية المتشددة، لا يمكن الحديث عن النتاجات الأدبية في هذا البلد، بمعزل عن المرأة، ليس فقط على مستوى حضورها في الأدب، كقضية مهمة للنقاش والبحث والاستشراف حول مستقبلها، حيث تشكل المرأة محوراً أساسياً في معظم (إن لم يكن جميع) الأعمال الأدبية، وإنما أيضاً على مستوى الإبداع نفسه، حيث برزت العديد من أسماء الكاتبات التي لمعت في الأدب العربي ككل، وليس آخرها أميمة الخميس، التي دخلت روايتها "الوارفة" ضمن القائمة الطويلة لجائزة البوكر، والتي فاز بها الكاتب السعودي عبده خال في نفس العام.

لكن يبقى السؤال الأهم الآن، وهو: إلى أي مدى يسهم تدفق الأعمال الأدبية التي تتناول المرأة، في إثبات حضورها في خضم الحياة العامة للمجتمع السعودي؟ خاصة وأنها (المرأة) تعتبر جزءاً أساسياً وملحاً وقوياً في الخطاب الأدبي، بغض النظر عن كيفية المعالجة أو الهدف من المعالجة، وهو ما يعكسه وعي الكاتب أو الكاتبة تجاه مآلات حضور نصف المجتمع في المشهد العام للحياة داخل المجتمع السعودي.

يعكس حضور المرأة في الأدب السعودي بهذا الشكل الطاغي، إشكالية حقيقية تتمثل في ابتعادها شبه التام عن المشاركة في الحياة العامة، وهذا الثراء في الحضور بين دفات الكتب، ما هو إلا التفاف "فن الممكن" الذي يمكن أن يغطي غيابها عن مسرح الحياة الحقيقية. وكون الأدب يشكل في مجمله صورة عاكسة للمجتمع، ويعبر عن وعيه، فقد برزت أعمال أدبية روائية وقصصية وشعرية كثيرة لكاتبات وكتاب سعوديين، توحي بهذا التململ من الإقصاء المعنوي والمادي للمرأة، لكنها في الوقت ذاته لم تعمل، إلى الآن، على رفع سقف مشاركة المرأة في الحياة العامة والثقافية إلى الأعلى، أو حتى على تغيير نمط حياتها بما يوحي بتأثير الأدب على مجمل الوعي العام في البلد.

أيضاً، هذا التسارع الكمي والكيفي للأدب السعودي، في ظل غياب فنون أخرى كالمسرح والسينما، لم يصل بعد إلى مرحلة تحريض المرأة على قيامها بالكفاح الحقيقي من أجل بلورة التغيير والانتصار لإنسانة تهمّشها تقاليد هائلة لمجتمع لا يريد أن يعترف بالتغيير، لذلك فإن قيام مثل هذه المعركة يعني أنها ستكون ثورة كبرى داخل المجتمع ككل وليس ضد جهة واحدة فقط، فالمرأة هي

السلاح الأول للحرب، كما أنها الضحية الأولى التي يجب أن تسقط عليها كل المحرمات.

وربما لا نجافي الحقيقة إن قلنا بأنه على العكس تماماً، ربما شكل هذا التسارع الكمي والكيفي للأدب السعودي، حالة من ردة فعل حولها، بشكل يعيد، وباستمرار، المجتمع السعودي إلى مربعه الأول، خصوصاً وأن تأثير خطاب الجامع على وعي الناس أكثر بكثير من كل الأعمال الأدبية التي يمكن أن تصدر، إذ يتصيد الخطاب الديني أي عمل روائي خارج السياق، ليتم اتهامه على الملأ بأن كاتبه أو كاتبته زنادقة وكفرة وملاحدة.. وغيرها من الأوصاف التي تحرض المجتمع على محاربته. وهذا ما حدث على سبيل المثال، مع رجاء الصانع في روايتها "بنات الرياض"، التي خاضت حتى النخاع في التابو المحرم للمجتمع

السعودي والمبني أساساً على العلاقات الجنسية بين شخصيات الرواية من الشباب والشابات، ولكن في الوقت نفسه، قد يكون هذا ما يفسر أيضاً الإقبال غير المسبوق على قراءة هذا العمل، كونه أحد أكثر الروايات التي تجرأت كاتبتها على ما لم يتجرأ عليه أقرانها الأدباء خلال مسيرتهم في الكتابة.

أثارت "بنات الرياض" الكثير من الجدل حولها، وطالت كاتبتها لعنات لا تحد ولا تحصى على منابر المساجد وفي وسائل التواصل الاجتماعي، كما تم اختراق إيميلات الكاتبة ومواقعها وروقبت من جهات دينية عدة، وهُدّدت بالاغتيال، وكادت تحرم مواصلة إكمال دراستها في طب الأسنان، والسبب كله أنها كتبت رواية! ولنا أن نتخيل حجم المعركة داخل المجتمع إذا ما أُفسح المجال أمام حالات إبداعية مشابهة، أو إذا ما فتحت معركة المرأة على آخرها داخل المجتمع.

بغض النظر عن إبداء الرأي النقدي الأدبي في طريقة المعالجة للكاتبة حديثة الخبرة، آنذاك، والتي لم تكن تتجاوز ١٨ عاماً عندما كتبت روايتها، ونشرتها وهي في سن الثالثة والعشرين، إلا أن الرواية التي ترجمت إلى نحو ٤٠ لغة عالمية، كانت قنبلة مدوية، كشفت عن كل الملفات المضمرة في المجتمع وكسرت أقفال القمع الاجتماعي والتقليدي، حيث

وضعت الرواية أبناء مجتمعها أمام ذاتهم بمنتهى الجفاء والوضوح.

إن سر انتشار الرواية بهذه الطريقة، جاء من كونها أبرزت فضح ممارسات الشباب السعودي مع الشابة السعودية، بكل جرأة، وهي تقدم مغامرة كبرى بإزاحة الستار عن عالم البنات الخفي، في مجتمع لا يقبل المرأة على هذا الشكل الإيروتيكي الصادم، فرغم أن حضور المرأة في الأدب السعودي، كما قلت، يعد حضوراً لافتاً وواضحاً، إلا أنه لم يخرج من منعطف التوازن الذي يرضي جميع الأطراف الفاعلة في المجتمع، الدينية منها والسياسية، غير أن رجاء الصانع لم ترعِ انتباهاً لكل هذا، وكتبت عن نفسها وعن بيئتها وصديقاتها من ذات خبيرة بواقعها، دون زيف أو تضليل.

إطلالة المرأة السعودية في الأعمال الروائية السعودية أكبر بكثير من حضورها في الحقيقة، فهي في الرواية قد لا تكون مهمشة ولا تكون غائبة أو منكسرة، بينما الواقع عكس ذلك تماماً، ليأتي العمل السردي عموماً وفي كثير من الأحيان غير مقنع ولا يمت للحقيقة بصلة، الأمر الذي تخطته رواية "بنات الرياض" بجرأة ونقلت واقع المرأة بمنتهى الأمانة، متحدية حراك المجتمع الذكوري في مطلقه، والذي يغلفه طابع ديني، سهّل إلى حد بعيد في تغييب هوية المرأة السعودية عن الحياة العامة بالكامل.

ومن خلال معرفتي بالمجتمع السعودي، توجد شريحة لا بأس بها تعي تماماً معاناة المرأة، في جميع تفاصيل الحياة، غير أن الأعمال الأدبية، ورغم أن المرأة تقحم في معظمها، لكنها مع الأسف، لم تدفع إلى صياغة حراك اجتماعي مدني نسوي فاعل، يستطيع أن ينتشل (نصف المجتمع) من واقعها الأليم، وأنا هنا لا أريد أن أتحدث عن بعض الأعمال الأدبية التي تعكس واقع المرأة بتبني فكرة المجتمع نفسه، والذي يريدها كائناً مكملاً في مجتمع ذكوري مطلق.

فالرواية السعودية، ورغم أنها وجدت في المرأة متنفساً جيداً لحياكة نسيج الحكاية، تمنحها هامشاً رحباً، على الورق، يتسع لفضاءات المرأة وشجونها وهمومها ومعاناتها، إلا أن هذه الفضاءات غير فاعلة على مستوى الحراك الواقعي الثقافي والمجتمعي، ولتفعيل هذا الحراك، لا بد من أن تعمل المرأة جاهدة على إثبات حضورها وتميزها في مجتمع يرى صوتها عورة، ويرى ذكر اسمها أمراً معيباً، أمامها معركة طويلة في ضرورة أن تعي دورها المطلوب منها، وتسعى بدون كلل دائماً باتجاه هدفها، فلا نريد أن تنتصر المرأة في الرواية وتخسر على أرض الواقع.

غداً يوم آخر

خوشمان قادو

الأخلاق والواجب أهمّ سمتين للإنسان المجتمعي، وما يربط كلهما به هي العاطفة. هذا ما أشار إليه جان بول سارتر في كتابه "الوجودية مذهب إنساني" حين ذكر مثالاً عن أحد طلابه الذي كان يعيش مع والدته بعد أن فقدت زوجها (الذي كان يميل إلى التعاون مع الأعداء). وابنها (الذي مات في الهجوم الألماني على فرنسا عام ١٩٤٠). كان على الشاب أن يختار أحد الموقفين: إمّا أن ينتقم لأخيه ويلتحق بالقوات الفرنسية الحرة بإنجلترا، أو يبقى بجوار والدته الوحيدة. لكنّ الشاب ترك كلّ القيم والتجأ إلى العاطفة لتهديه السبيل. الحبّ الذي يفتح الباب أمام التضحية. ولكن أيّة عاطفة؟ إنها العاطفة التي تمارس فعلاً.

من أبرز ملامح الثورات على مرّ التاريخ ما يتجلّى في الانتقال من مكان إلى آخر، إذ إنّ الانتقال يشكّل النقطة الجوهرية في التغيير، ذاتياً وموضوعياً. ربما أوّل من أدرك جوهر هذه النقطة هم الأنبياء. لكن إلى أيّ مدى كان التأسيس لمفهوم الوطن والعائلة مدرَكاً في تلك النقطة. هذا ما أثار العديد من الأسئلة، سيما تلك المرافقة للثورات التي قام بها الإنسان.

المسؤولية تغيّر الشخصية ذاتها

"فقط أنا مؤمنة بالاتحاد كالجميع". هذا ما قالته إحدى "الساقطات" بنظر الجنوبيين، حين تبرعت بمبلغ من المال للمستشفى في فيلم "ذهب مع الريح/ Gone to the wind". المأخوذ عن رواية تحمل الاسم ذاته للكاتبة "مارغريت ميتشل". يلعب دور البطولة فيه كلّ من الممثل كلارك غيبل (ريت بتلر)، الممثلة فيفيان لي (سكارليت أوهارا) والممثل ليزلي هاورد (آشلي ويلكس). الرواية تصوّر المأساة الإنسانية التي حلّت بالجنوب الأمريكي، نتيجة الحرب بين الشمال والجنوب (صراع الكونفدراليين مع اليانكيين)، بسبب التمييز العنصري في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا، حيث دارت الحرب بين الولايات التي كانت تريد الاحتفاظ بالعبيد، والولايات التي تريد تحرير العبيد، وكانت الأخيرة بقيادة الرئيس أبراهام لينكولن. وقد استمرت الحرب من عام ١٨٦١ حتى عام ١٨٦٥، سقط فيها آلاف الضحايا، وانتشر الخراب والدمار في مناطق عديدة، واحترقت إثرها مدن بكاملها.

قرار بقاء "سكارليت" في أتلانتا عند هجوم الشماليين كان مزيجاً من الواجب والحبّ، وعدها "لآشلي" بمساعدة زوجته، كذلك قلة الأطباء والممرضات لمعالجة جرحى الحرب كانا سبباً للبقاء، لكن وضع زوجة حبيبها "آشلي" الحامل أجبرها على النزوح من المدينة.

تعود "سكارليت" إلى مزرعة بلدة تارا، فتفجع بوالدتها، والدها كان تحت تأثير الصدمة، لا طعام ولا شراب، البلدة مدمّرة، لم تَسلم من هجوم الشماليين، ربما الشخصية البرجوازية وغير المبالية لسكارليت لم تكن تنفع تلك المرحلة، الواجب والمسؤولية كانا أمامها، وتارا، البلدة التي كانت سترثها يوماً ما، كما قال لها والدها، كانت تنتظر منها المزيد من العمل.

وفي حفل جمع تبرعات لصالح (الكونفدرالية) بالقرب من أتلانتا، دار بين "ريت بتلر" وبين أحد المدعوين الجنوبيين حوار نصّه: "هل تقول يا سيدي أنّ القضية التي يموت من أجلها أبطالنا ليست مقدسة؟ يجيب ريت بتلر: كل الحروب مقدسة بالنسبة إلى أولئك الذين عليهم أن يحاربوا فيها. إذا لم يتظاهر الناس الذين بدأوا الحروب بأنّها مقدسة، فمن هذا الأبله الذي سيحارب إن لم يكن من أجل الحرب المقدسة؟". وبالطبع تمت هزيمة الجنوب حسب توقّعات "ريت بتلر" بعد أن كان يُتهم بالخيانة، عندما كان يعارض الحرب قبل بدايتها. لكن الغريب أنّه قرر

الانضمام إلى الجيش الكونفدرالي بعد أن تحقّق من الهزيمة، لكي يساعد الجنود المهزومين والمنسحبين الجنوبيين من جبهة القتال.

الارتقاء بالحبّ إلى حبّ "تارا" المكان، كان نتيجة نوع آخر من الصراع، مغاير للصراع الدائر بين الشماليين والجنوبيين، كان صراعاً في الحبّ، الذي ما لبث أن جعل للمكان المقدار ذاته من الحبّ الذي تكنّه "سكارليت" "لاشلي". وموت الأب أيضاً حين يقع عن حصانه أرضاً، أثناء ملاحقة أحد الشماليين الذي أهان "سكارليت" وبلدتها (تارا)، كان له الأثر في تحوّل آخر لشخصية سكارليت، سيّما بعد ازدياد مبلغ الضرائب المترتبة على تارا من قِبل الشماليين.

"إنّ الأرض هي الشيء الوحيد المهم، إنّها الشيء الوحيد الخالد، شيء تحبينه أكثر مني حتى وإن لم تدركي ذلك، إنك تستمدين قوتك تلك من تراب تارا الأحمر"، بهذه الكلمات قررت سكارليت أن تعود إلى وطنها وتعيد حبها أيضاً.

الفيلم من إخراج فيكتور فلمنغ، أنتج عام ١٩٣٩، وحين العرض كان أنجح فيلم على شباك التذاكر في تاريخ السينما، رشح لثلاث عشرة جائزة أوسكار، فاز بثمانٍ منها، بينها جائزة أفضل فيلم، أفضل ممثلة لفيفيان لي، وأفضل مخرج، وحصل الفيلم على جائزة أوسكار فخرية، كما حصل على جائزة أفضل سيناريو.

العائلة ملكٌ للمكان

"لقد حاولت حماية أبنائنا من كل هذا الجنون، والآن هم ينشدونه"، هذا ما قاله الأب لزوجته حين توجّه أبناؤه إلى القتال في فيلم (أساطير الخريف)، المقتبس من رواية كتبها الروائي جيم هاريسون وتحمل الاسم ذاته، تبدأ مرحلة جديدة من الواجب والأخلاق كمسؤولية لدى الفرد في هذا الفيلم، إلّا أنها تجاه العائلة هذه المرة، تبدأ القصّة بعد نهاية قرن، عندما يقابل الشاب تريستان الدبّ أولاً، ثم تنتهي هذه المقابلة بمعركتهما الأخيرة في عام ١٩٦٣، الفيلم مرويّ بصوت ون ستاب، المحارب الذي يعمل ككشاف لوليام لودلو الأب (أنطونيو هوبكنز)، (ولاحقاً كمساعد في مزرعته الواقعة في مونتانا)، العقيد الذي ترك الجيش الأمريكي عندما فشل في حلّ مشكلة الهنود، يعود ليبدأ حياة جديدة مع أولاده الثلاثة، ألفريد (إيدن كوين)، ترستان (براد بيت)، وساموبل (هنري توماس)، فيما تذهب زوجته إيزابيل إلى مدينتها بوسطن.

مفهوم العائلة المبنيّ على الحبّ والانسجام بين أفرادها لا يلبث أن يتحوّل إلى نوع من الصراع القائم على الحبّ أيضاً، جراء الحيازة على تركة الأخ الأصغر، حبيبته سوزانا (جوليا أرموند)، الصراع بين كل من ألفريد وتريستان، اللذين وجدا في ذلك الصراع تخفيفاً من العذاب الذي تسبب به مقتل ساموبل في الحرب وعجزهما عن إنقاذه.

كانت أمريكا على مشارف دخول الحرب العالمية الأولى، القيمة الدامية لهذه الحرب تدفع عائلة لودلو ضريبتها الأقسى، إذ لا يتمكن تريستان من إنقاذ ساموبل في ساحات المعركة بفرنسا، فيقوم بنزع قلب أخيه الميّت، حسب التقاليد الهندية، ويحرّر روحه حسب تلك التقاليد التي تعلّمها من ستاب.

بعد تلك الحادثة يهاجر تريستان ليخفّف من عذابه، ويلجأ إلى الجنس وتعاطي المخدّرات، أمّا سوزانا فتتزوج من ألفريد الذي يصبح عضواً في الكونغرس الأمريكي، ويفرض عليه المكان الجديد ذهنية وشخصية بعيدة عن ذي قبل، فيما يعاني الأب من جلطة دماغية نتيجة لمعاناته وافتقاده لأبنائه.

في النهاية يعود ألفرد، بعد انتحار سوزانا إلى منزله ليحمي تريستان ووالده من الموت، تريستان يطلب منه أن يرعى ابنه ساموبل، ويذهب في رحلته "لأنّه اعتاد أن يعيش على الحدود، وفي أيّ مكان، في مكان ما بين عالمنا والآخر". يموت تريستان في صراعه مع الدبّ، الذي كان يسمع صوته في داخله بعمق، وكان ينمو ببطء في مكان مظلمٍ سري.

الفيلم من إخراج إدوارد زويك، أنتج عام ١٩٩٤، ولم يحظ سوى بتقدير متوسط إلى جيد عند جمهور المشاهدين عبر العالم والنقّاد السينمائيين، كما أنه لم يحصل سوى على جائزة أوسكار واحدة في التصوير من نصيب جون تول، فيما رشح لجائزتي أوسكار في الصوت وفي التصميم والديكور، ورشح لأربع جوائز في الغولدن غلوب كأفضل فيلم وإخراج وموسيقى وتمثيل لبراد بيت.

خارج السينما ثمة عوائل ووطن

بما أنّ الإنسان يخضع في العصر الحديث لمنظومات إنسانية- مجتمعية، فهو لا يستطيع أن يبقى وحيداً طيلة حياته، بعيداً عن العائلة والوطن، العاملين الأساسيين للاستقرار بالنسبة له، الثورة تتطلب جرأة للانخراط فيها، ففيها الكثير من المشاهد المأساوية التي تهك ذاكرة شعب بأكمله، خاصة حين يكون المكان هدفاً وعاملاً للانتصار.

لم يمتلك السوريون خاصية الأنبياء، الوطن والعائلة كانا ملائمين إلى حدٍّ ما مع ذاتيتهم المسلوبة، لذا فهم منذ خمس سنوات يصارعون ذواتهم المكانية أكثر من ذواتهم الزمانية، كذلك يصارعون ذواتهم العائلية أكثر من ذواتهم الوطنية، حتى غدت تلك الذوات وطناً وعائلة بحدِّ ذاتها، لم يستطع السوري أن يكون قِيَمياً وواجبياً في ذات الوقت، ربما كان قادراً أن يحمل ما تبقّى له من تراب ورائحة فقط ويرحل، فقد يعود متذكراً تلك الرائحة في يوم آخر.

كأس اليرموك

تغريد محمد

ليس جنوناً أن أعبر نصف بحر كي أكسر آخر قطعة من خاطري وأبكي..
لم تعد هذه الحرب كافية لتثير دمعنا.. تبلّدنا..
تبلدنا بالحرب، بتنا محتاجين إلى نوع آخر من الموت، مللنا رصاصات الرحمة ورصاصات الجوع..
نحتاج لنوع جديد من القتل.. كأن نقف ثلث اليوم على طوابير المساعدات.. أو نبيع ذكرياتنا المتبقية بدولار نشتري به ساعة حزن جديدة..
في بيروت، المدينة الكاذبة، تستطيع أن تجد قاتلك الأفضل.. تختاره بنفسك، تدفع له دولاراً ليقتل ما تبقى منك..
لا تهتم، فالقبور همها على أصحابك.. ستموت وتنسى هم القبر..
تستطيع أن تموت على رصيف فاخر مطالباً بـ ١٠٠٠ ليرة لتشتري كعكة الجبنة، لديك أيضاً خيار الموت على أسرّة فنادق فاجرة..
في بيروت، طالما أنك لاجئ يمكنك أن تموت بسهولة.. بعيداً عن أسباب الحرب والرصاص..
تستطيع الآن أن ترى ملامح الموت البطيء المختبئة بين تجاعيد الخيام..
اختر موتك وحدك.. من حقك أن تختار.. لكن إياك أن تموت عشقاً أو شوقاً أو حتى قهراً..
مت عزيزاً.. كأن تموت وأنت جائع..
موتوا بما يليق بالحرب واتركوا الحياة لهم...
كان يقول لي كثيراً بأنني أنثى تشبه الوطن، واليوم أدركتُ أنه كان يشتمني طوال الوقت..

- جاد.. أنت كاذب.. كاذب كالوطن والحنين .

- قد أكون كاذباً حقيقياً لكنني لستُ بسوء هذا الوطن الأرعن.. لقد بات الوطن يا تغريد كصبي طائش لا يدرك العمر ولا العمر يدركه.. ولد عاق نسي طعم الحليب الحامض على شفتيه.. حسناً.. أنا كاذب لكني لستُ كالوطن.. أنا كاذب موجود يا حبيبتي..

- أتريدني خيمة؟ اخترني كخيام السويد مثلاً، اتمتع بتكيف وتبريد وراتب حقيقي.. وأزودك بالحنين متى شئت.

- اخرجي من معادلة الخيمة والوطن وارتقي قليلاً.. هذا الحديث صار حديث "سوكة"، يمكنك الآن أن تحدثيني عن بهوفن أو باولو كويلو كي أشعر ولو كذباً بانتمائك.. هل قرأت الرمز المفقود؟ حسناً، أعلم أنكِ كاذبة.. أنثى مثلك لن تملك الصبر لقراءة هذا السُمك الهائل من الصفحات..
يكفيني أنكِ تحاولين ارتداء عباءة الثقافة، ولو أنكِ كنت ستبدين أكثر إثارة بجلابية تحمل غبار المخيم.. ستكبر أنوثتك لو كان همك الآن سعر كيلو البصل في سوق الخضار، لكن لا بأس.. دعك من دوامة الخيام والأوطان وهاتي يديك كي نرقص ونسكر ونقرع كأس اليرموك..

- "انطم".. كم كان يلزمني من حظ كي أكون ثملة ولا أسمع ما قلته الآن..
هات يدك لنرقص وحاول أن تبحث عن عمل مسائي.. كأن تعمل في بار كي تستطيع أن تهديني عباءة مطرزة بالغبار.. هيا قم..

- نشتري البصل؟ أم نبيع الوطن برقصة؟

- تعال نخون مبادئنا قليلاً.. نشتري البصل.. نقطّعه.. نبكي كذباً.. نسكر ونرقص.

بيروت 22أبريل/٢٠١٤

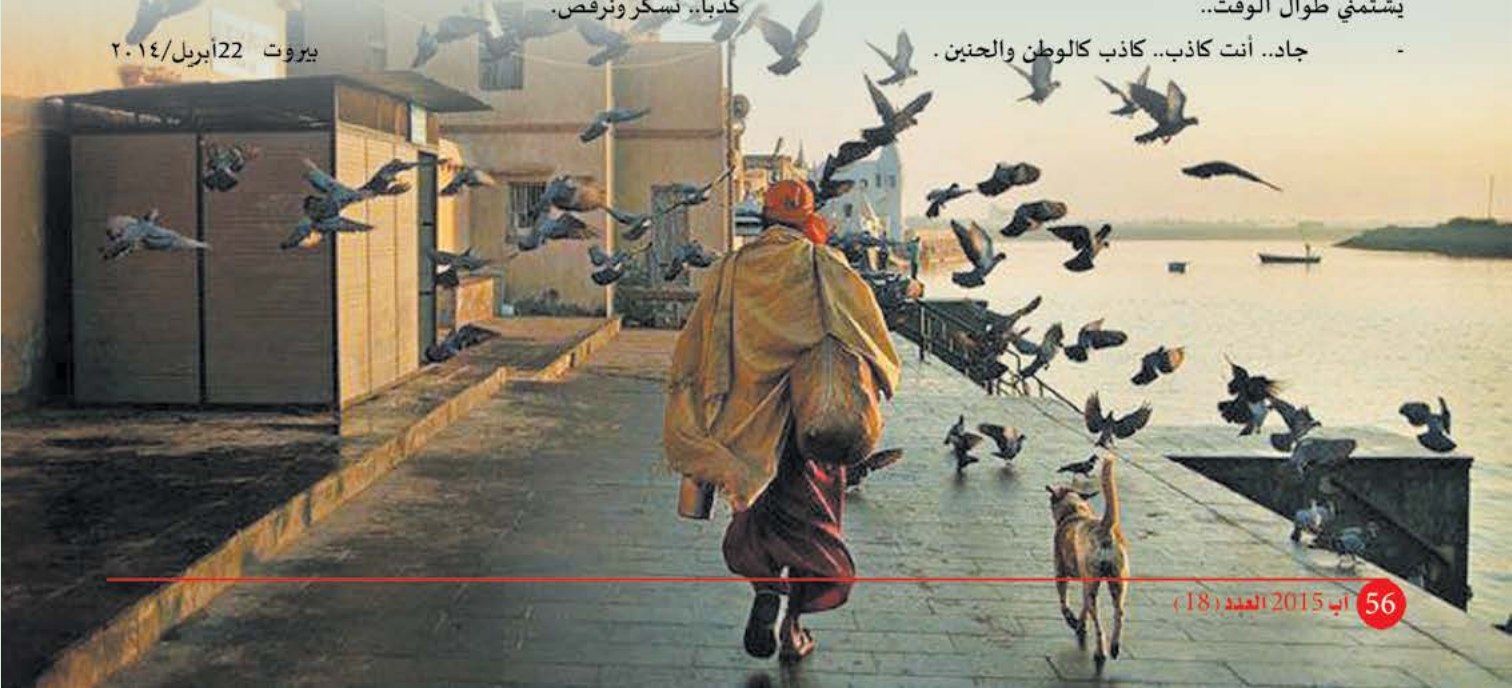

محاولات للانتصار على الحنين

فاديا حسون

دسست حلمي بين صفحات الغيب، لونته بلون الأمنيات الوردية، نثرت فوقه شيئاً من عبق الرجاء، ثم أسبلت أهداب القلب وغفوت فوق وسادة محشوة بالأحلام. بدأت أحلق فوق سماء وطني المتسم بالخراب، حاولت إيقاظ طيور الفرح النافقة على سطوح المنازل المهجورة، لكني تعثرت بقلوب أقلعت عن النبض منذ زمن ليس ببعيد. حاولت مسح دموع طفل يتجرع كؤوس اليتم والمرار، لكن رزمة مناديلي المكدسة في جعبتي أعلنت فرط الابتلال. دخلت مجالس العزاء، فرأيتها خالية إلا من أنين بعض النساء المتشحات بالسواد، تقطر من وجوههن ملامح الثكل والتأيُّم وغياب الأحباب، حاولت عبثاً إخراج مفردات العزاء من معجمي الذي أعلن الإفلاس، أشاحت النسوة بوجوههن عن كتلة من العجز تدعى "أنا"، مضيت جارة وراني ذيولاً من الخيبة والبلاهة، ففي حضرة الثكالى يتلعثم اللسان ويجمد الكلام، وفي حضرة الأيامى يجبن الفكر وتتخبط المفردات فوق شفاه خائبة. تضاءل حزني أمام أحزانهن العملاقة، وخرجت هائمة على وجهي، ذهبت بي قدماي إلى حيّنا المقفر. كانت أفكاري تهرول أمامي كفأر متوجس يخشى أن يدركه قط مخاوفي المتربص وراء باب بيتنا. اقتربت من البيت الحزين فتحت الباب بيدين حذرتين، وأنا أخشى ألا تهاجمني العناكب التي بنت أعشاشها على حواف الباب، احتجاجاً منها على جرأتي غير المشروعة، وكأنها تعلن ملكيتها لبيتنا بعد أن سقطت ملكيتنا له بالتقادم! دخلت ساحة دارنا ذات القبة السماوية، فتعثرت بأكداس من أوراق الليمون اليابسة، تتربع فوق صفحاتها الشاحبة صورة الحياة المتلاشية لحظة غياب الأيدي التي كانت تمن عليها بالإرواء.

نظرت إلى ورود الدار التي كانت ميداناً تمارس أمي فيه طقوس فرحها اليومي، فرأيتها تنطق بالموت المؤكد، بعد أن كانت ابتسامة أمي تتسيد أكمام الزهور، ويتوغل عبقها الأسر في أنوف المارة من جانب البيت، فتتسلل البهجة إلى نفوسهم، وتنفرج أساريرهم. كفكفت مطر العيون بيدين ترتعدان ألماً وحنيناً، تهالكت روحي فوق ركام من الأحلام المنهارة. كان شعوري بالعجز يغطي كياني بطبقات من الجبن والشلل الفكري، حاولت عبثاً منع فكري من التجول في ساحات الذكريات الموجعة، أرخيت جسدي المنهك على كرسي كان يخص أمي الحبيبة، فتطاير من تحتي غبار الهجر والنسيان، وتغلغلت في أنفي المحشو بروائح الفقد والحرمان. كان صدى صوتها منقوشاً على جدران البيت، يناديني باسمي بنفس طريقتها المعتادة، فأجفل من أعماق روحي، وألتفت في كل الاتجاهات، باحثة عن مصدر صوت أمي الملائكي، الغائر في أطنان من الإسمنت المنتصب كتمثال بلا حياة. تأملت النوافذ والأبواب المقفلة والجدران، كل شبر من منزلنا كان يروي لي قصة محملة بآلاف الغصات، قصة كل فرد من أهل بيتي الراحلين، تاركين وراءهم رزماً من الأحلام المستلقية في فراش شائك منسوج من خيوط الخيبة المترامية عند أعتاب الهجر والنكران، نهضت بحزن وأنا أنفض عن ثيابي غباراً يأبى إلا التشبث بي وكأنه يناشدني ألا أرحل من جديد، فقد أحسست بأن وجودي يؤنس وحدته ويخرجهمن عزلته المقيتة. خرجت دون أن ألتفت للوراء، علني أتجاهل مفردات اللوم التي تنطق بها أحجار البيت المهجور، أو أفلت من قوافل الغبار التي تشعرني بخيبتي وانكساري. أقفلت الباب ثانية، أرهقني شعوري بالجحود، كدت أسقط أرضاً وأنا ألملم بقايا روحي العالقة هنا وهناك. ثم تابعت المسير، وتهت في طرقات مدينتي المسيجة بأشواك الرحيل، التقطت عيناي صوراً تأبى ذاكرتي نسيانها، فهي ستبقى مرجعاً لآلامي المخزنة على بطاقة إنسانيتي المضطهدة عند عتبة القرار الموجع، "قرار الرحيل"، ثم لم أر بداً من إعادة التحليق، لأعود إلى حلمي المخبأ في وسادة الأمنيات، لأوقظه وأبث فيه روح الأمل المتلاشي في زحمة الخراب، ولأهمس في أذن الحلم كلماتي المحملة بشوقي الذي يفوق شوق العاشق لرؤية محبوبته بعد طول انتظار، وشوق العطشان في صحراء قاحلة لرؤية واحة خضراء، يستفيء بظلها استجارة من الرمضاء الحارقة. رفعت أكف التوسل لرب الأرض والسماء، بأن يعيدني إلى بيتي الحبيب، لأزرع فيه الورد من جديد، وأغسل عنه الغبار، وأعيد البسمة لروحي التي أرهقها فرط الانتظار.

وعد... سنبتسم ونحن نموت

بسمة شيخو

منذ شهور بعيدة نوعاً ما، وبدعوةٍ من أحد المعارف، حضرتُ حفل افتتاح مهرجان للأفلام السوريّة القصيرة في أوبرا دمشق، واحد من النشاطات التي من الممكن أن تنفخ دخان الحرب للحظات عن وجوهنا لنظن أننا بخير هنا. لكن أملي قد خاب. كان الحفل شبيهاً باحتفالات الطلائع، أعادني لطفولتي، ليوم الخميس تحديداً وبرنامج "مع الطلائع"، وأعاد غصة التفاهة المعلّبة التي تُباع للأطفال. لن أخوض في مهرجانات الطلائع وبرامجهم الآن، إلا أنني حينها لم أدع سوء الاحتفال وضحالته يمنعاني من محاولة تذوق الأفلام المختارة لليوم الأول، لكنها أيضاً لم ترق لي! ولم ترقَ للمستوى المتوقع، التوقع من قِبلي طبعاً، فأنا عادةً لا أعبأ بتوقعات أحدٍ غيري، وبسبب خيبة أملي لم أكمل حضور بقية الأفلام التي كانت ضحية التعميم مثلها كمثل الكثير ممن يُظلم بسبب غباء التعميم الذي يتقنه السوريون بشكلٍ عام، هذا تعميمٌ غبيٌّ أيضاً!

مرتْ الأيام وغابت الأفلام القصيرة عن بالي، إلا أن فيلماً جُلب لي على طبقٍ من فضة، عنوانه "ابتسم فأنتَ تموت". العنوان لم يكن غريباً عليّ لسببين: أولهما الدّهشة المخيفة التي يخلّفها سماع هذا العنوان، وثانيهما كثرة مشاركته في المهرجانات وحصده للجوائز؛ طبعاً لا أتابع أخبار المهرجانات السينمائية الدولية، لكنها كانت تأتي من تلقائها إليّ عبر صفحات الفايسبوك الزرقاء.

كان لديّ شغفٌ لمتابعة هذا الفيلم لسببٍ، لن أقول إني أجهله، فأنا أعلمه جيداً لكني سأبقيه سراً. بدأ الفيلم بشرح العنوان بومضة مرئية، فتحت فمي ذهولاً، فتسلل الفيلم لداخلي شعرتُ بطعمه وصرنا واحداً، دخلتُ كلّ مشهد تأملت تفاصيله الدقيقة، وجوه الممثلين، الإضاءة، قطع الأثاث وتوزيعها، وكأنني داخل عملٍ فني تركيبي بكل ما يحتويه من إتقان، أنا المسحورة بعوالم هذا الفن واختزالاته.

يحكي الفيلم سريالية الحياة ضمن الكم الهائل من الموت، يحكي عن وهم يدعى "الانتظار".

ويعرض رسم الموت لحياتنا ورسم حياتنا للموت، تداخل هاتين الفكرتين هو ما يصنع الفيلم ودهشته، وهو ما يُكسب حياتنا روح أن تكون فيلماً.

الفكرة العامة التي تتمحور حولها أحداث الفيلم هي عن فنان فوتوغرافي يتقمص حالة من حالات المعاناة هنا في دمشق وبكامل تفاصيلها وإكسسواراتها النفسية، فأحياناً يكون سجيناً بثيابٍ ممزقة يعاني تحت التعذيب على أرض الغرفة، محاطاً بشرنقةٍ من الحبال، يعاني داخلها لأجل خلاصٍ أبدي، في مشهدٍ آخر ينتحر شنقاً، بدأ المشهد بغليان الحليب ثم فورانه، تركتُ زاويتي ركضتُ صوب النار بغريزةٍ قديمة تحركت داخلي، فلم ألحق إطفاءها وانسكب الحليب على أرض الغرفة كحلمٍ أبيض أو ربما كحلمي الأبيض بالتحديد، الأسوأ أني لم ألحق المنتحر أيضاً، ها هو متدلٍ من سقف الغرفة كدميةٍ ضخمة، نبضاتُ قلبي تعثرت لم يردّها لإيقاعها إلا نزع الحبال بعد أن التقط الصورة الموعودة، أما المشهد الذي تمنيت أن أكون بطلته المطلقة فهو يصوّر تلفزيونات كثيرة تتجمع كتلةٍ صغيرة، بمطرقة تتحطم واحداً واحداً ويخرس الإعلام الكاذب المثرثر داخلها،

سأعيش هذا المشهد في بيتي وأحطّم تلفاز أبي، ولتصمت الأخبار في المنزل إلى الأبد!

بين هذه المشاهد تطلُ فتاةٌ بهيئة حلم، تملؤه شغفاً وتغادر، كنت هذه الفتاة الممددة على أرض ذاكرته انتحلت شخصيتها وراقبت نظرات الألم والحسرة التي تسيل من عينيه بعد كل لقاء بينه وبين المستحيل الممدد على السرير.

اللقطات الآن كافية، كمية الحزن التي ملأت نفسي ملائمة لنجاح معرضٍ فوتوغرافي يعري الألم أمام أعيننا على الجدران، لا ينقصه إلا الحلم، سيجلبه ويكون قرباناً للبسمة الكاملة عند افتتاح "قيد"، قيد عنوان المعرض الفوتوغرافي الذي سيحررنا من الصمت.

الموت يرفض هذه القصة، يرفض إكمال الحكاية كما يجب، الموت يحب النقصان كما العادة، فهو الآن يجعل الصور حقيقية ويصمم هو الصورة الأخيرة، رصاصة قناص لم يسمح له بإنقاذ حبيبته من الحصار، ابتسامة مع صوت الفلاش وصعود للروح على رؤوس الأصابع.

المعرض يُقام، لا شيء يتوقف هنا، فعجلة الحياة تدور ولو طحنتنا كالقمح بين رحاها.

مرت الكاميرا أمام كل صورة ممثلة بالحبيبة التي حضرت متأخرة كأي حلم، المخيف بالموضوع أن وجهي كان حاضراً في كل الصور، الحمد لله لم ينتبه المخرج لذلك وإلا لكان وبخني.

انتهى الفيلم، عملت جاهدة على رسم ابتسامة صفراء أمام صديقي علي (علي وجيه مؤلف الفيلم)، رغبت أن أخبره بأني تربعت بين أفكاره وعشتها، لكني فضلت الصمت، أكره الأحاديث المبتذلة بهذه الطريقة التي تفهم على أنها تملق، أعجبني الفيلم لم أقل أكثر! وغادرت.

شوارع دمشق لم تكن كعادتها، وجوه المارة أكثر ابتساماً، هل الجميع سيموتون هنا؟

أظن أن ذلك وارد، وأن الأمر ليس جديداً، لكنني قبل الآن لم أحدّق بالوجوه بشكلٍ كافٍ، لم أدقق بلمعة العينين وهي تستجدي لحظاتٍ إضافية، لم أتأمل الأسنان وهي تدفع الشفاه بكلتا يديها لتبقى مبتسمة...

بالإذن من "علي" وعد سنبتسم ونحن نموت، هل هناك أجمل من أن نستقبل الحياة الأخرى بكل ما تحمله الابتسامة من هالة إيجابية ونترك لمودعينا وهماً جميلاً عن سعادتنا ونحن نغادرهم نحو مكانٍ أفضل؟

سنبتسم، فهو أفضل ما نستطيع فعله وسط هذا الموت، وسنلتقط لابتساماتنا الكثير من الصور.

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

شبكة المرأة السورية
SYRIAN WOMEN'S NETWORK

عمل للنحاتة نور عسلية